
النظام العثماني
(الهجرة اليهودية إلى فلسطين)
(١٤٩٢-١٩٥٢)
NOUHA

النظام العثماني

(الهجرة اليهودية إلى فلسطين)

(١٤٩٢ - ١٩٥٢)

محمد سرحان

النظام العثماني

(الهجرة اليهودية إلى فلسطين)

(١٤٩٢ - ١٩٥٢)



طبعة أولى ٢٠٠٠ نسخة
١٩٩٣

الكتاب ــ النظام العثماني
المؤلف ــ محمد سرحان
المطبعة ــ جوهر الشام
الناشر ــ دار دمشق ــ دمشق شارع بورسعيد هاتف ٢١١٠٢٢ ــ ٢١١٠٤٨
ص ب ٥٣٧٢

الاهـــــداء

ـ لانها تراتيل السماء

ـ لانها بصيص النور

ـ لانها الحياة والهواء

ـ فلنا منها ولها حبيبتي...

محمد علي سرحان

ايضاح بدلاً من المقدمة

تشكل الدراسة التالية التي بين ايدي القارىء العربي والاسلامي مؤلف وبحث هام عن السلطان عبد الحميد الذي يشغل الناس أو بعضهم لاسباب تاريخية ، ودوره في قضايا محددة داخل وخارج السلطنة العثمانية ، وبالتالي دور النظام العثماني لبنى فوقية وسياسية هيمنت على بلاد عديدة ومنها بلادنا العربية طيلة قرون عديدة . وطريقة التعامل مع الأحداث العالمية في القرن الماضي وبداية القرن الحالي ، وبالتالي الكيفية التي جرى على اساسها تسرب الهجرة اليهودية الى الأرض الفلسطينية المقدسة ، واعتبارهم رعايا الدولة العثمانية، ولعل الوثيقة التي يحتفظ بها الشيخ محمود أبو الشامات في دمشق بخط يد السلطان نفسه تقدم بعض الحقائق وليس كلها .

ونشرت مؤخراً مذكرات للسلطان عبد الحميد وكتب ودراسات نقدية هامة وخاصة ماذكر في مجلة الفيصل المتوفرة مشكورة في العدد ١٩٦ صفحة ستون على لسان المؤرخ التركي الذي غالط في بعض مواقفه تجاه العرب عموماً «يلماز أوزتونا» وهو نائب رئيس جمعية الصداقة التركية ــ السعودية ، ومن تلك المنشورات من يشكك بدوره ومنها مايجعله مؤمناً وقوياً حد النبوة ، لكن السلطان عبد الحميد وقف مع ثورة عرابي بمصر، ورفض ضغوط الدول الغربية على البلاد العربية ، وكان خائفاً حد التصريح من هرتزل والحركة الماسونية والصهيونية من الاطاحة به بعد محاولاتهما تقديم المساعدات المالية له .

* يتناول الجزء الأول : بداية النشاط اليهودي داخل الامبراطورية الاسلامية العثمانية منذ عام ١٤٦٢ حتى عام ١٩٠٠ والصراع من أجل اعتلاء مناطق النفوذ والسيطرة .

* وفي الجزء الثاني : يتناول دور الحركة الصهيونية في النشاط الرأسمالي العالمي بتركيا والشرق الأوسط وشراء شركات النفط والسيطرة عليها، وتشكيل الحركة الوطنية الأولى (الجمهورية الأولى) بزعامة القائد العسكري مصطفى كمال أتاتورك الأب الروحي والعسكري للجمهورية التركية الحالية والتي تستمد ايمانها الروحي من مواقفه الخاصة بالشعب التركي المكافح .

* وأما في الجزء الثالث : يظهر دور النشاط الصهيوني ضد تركيا والوطن العربي الاسلامي على حقيقته مع تعامل الحركة الماسونية والصهيونية في المانيا مع الجستابو وهتلر وتزويد شركة هافارا الصهيونية التجارية بكل مستلزمات الدعم من

الظواهر النازي بما يبين التعاون الوثيق بين العصابات الصهيونية والنازية .

★ أن المؤَلفْ بحث هام في فهم الظروف التاريخية التي ادت الى انهيار نظام السلطنة العثمانية ومابتبعها من قضايا تاريخية وسياسية واقتصادية من كاتب صحفي مستقل والذي يوضح بعض الحقائق كما كانت بشكل موضوعي وليس كما يرغب البعض بأن تكون .

دار دمشق

الفصل الأول
نشاط الحركة اليهودية والصهيونية
داخل السلطنة العثمانية
١٤٩٢ — ١٩٠٠

اعتبرت السلطنة العثمانية لعقود عديدة قوة استبدادية استعمارية لا يستهان بها في النظام الاستعماري القديم حيث سيطرت على مستعمرات كثيرة من البلقان مروراً بالبلدان العربية حتى آسيا الوسطى وأجزاء من جزيرة (ساخالين) الواقعة على المحيط الهادي في أقصى الاتحاد السوفييتي ، وبسبب من الظروف الدينية التي كانت تحكم الأوضاع العامة وسيادة الأنظمة الاقطاعية وشبه الاقطاعية تمكنت السلطنة من اشاعة جورهيب من الارهاب والقمع والتسلط على مختلف الشعوب التي سيطرت عليها تحت حجج اشاعة الدين الاسلامي وتوسيع نطاقه في ظل حكم عثماني مستبد لا يأخذ بعين الاعتبار مصلحة الشعوب وحقها في نيل حريتها الكاملة ، فقد مورست شتى أنواع الاضطهاد والتعذيب تحت حجج معارضة النظام الديني الأسود القائم على العنصرية والتفرقة الدينية والاضطهاد الاجتماعي ، حيث شكل آل عثمان عماد الطورانية وجذورها في حب الهيمنة والسيطرة واخضاع الشعوب لمصالح أنانية مغرقة في الرجعية تحت ستار الدين .

أ ـ الخلفية الأساسية لدور الحركة الصهيونية :

لكن مع تزايد تعقد الظروف العالمية حينذاك وظهور الرأسمالية وتطورها الكبير إلى احتكارات امبريالية دبّ التنافس كما هو معروف في هذا النظام بين أطراف الرأسمالية ومراكزها وتآكل الوضع الداخلي شيئاً فشيئاً في جسد السلطنة العثمانية بسبب عدم تطورها مع تغيرات القرنين الثامن والتاسع عشر مما أدى إلى فشل السلطنة فشلاً ذريعاً بسبب هشاشتها وعدم مقدرتها بالاستمرار ، وشيخوختها ، مرد ذلك بالأساس يعود إلى نضال الشعوب التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار العثماني القديم وتوقها للحرية والانعتاق ، والنضال العنيد من أجل الاستقلال .

هنا نجد أن تأريخ حقبة هامة من تاريخ شعوب المنطقة لهي ناحية هامة وضرورية بل وجوهرية . خاصة وأن التطرق إلى وضع اليهود في تركيا ودورهم في السلطنة تعبر بدقة عن الخلفيات الأساسية لدور الحركة الصهيونية لاحقاً في التآمر على السلطنة العثمانية وتوسيع نفوذ وسيطرة اليهودية بداخلها التي سعت لتوظيف مختلف جوانب الحياة الاقتصادية لصالحها الأمر الذي أثر على وضعها السياسي وتغلغل الحركة الصهيونية عبرها باتجاه أوروبا والشرق الأوسط حتى أيامنا هذه إلّا أن تلك الحركة قيل فيها أنها ساندت بعض حركات التحرر المعادية للسلطنة العثمانية ، وأصحاب هذه الأفكار الخاطئة لا يستندون على حجج سليمة ، لأنهم يحاولون في حقيقة الأمر تشويه النضال الوطني الذي كان يخوضه مجموع الشعوب الرازحة تحت النير العثماني الاستبدادي وهنا في حال رجوعنا إلى أفكار وايديولوجيا الحركة

الصهيونية وممارساتها نفسها كونها حركة عنصرية وشوفينية نجد أنها لم تقدم لأي حركة تحرر ضمن السلطنة أي دعم يذكر بل قامت منذ نشوؤها بالعمل على ضرب الشخصيات والجماعات والأحزاب والحركات والأقليات بعضها ببعض وتطبيق الشعار الاستعماري (فرق تسد) كي تسود هي وتطفح على السطح للسيطرة على مقدرات ومراكز القوة ضمن السلطنة العثمانية بهدف جوهري هو العمل على انشاء الوطن القومي الذي أعلن عنه فيما بعد زعيم الصهيونية في القرن التاسع عشر والذي كان يمثل الامبريالية العالمية والرأسمال اليهودي الكبير واتجاهاً يمينياً معادياً للحركة العمالية العالمية وقتها والذي جر إلى هذه الحركة أجزاء من تلك الحركة التي لاتدرك مصالحها الطبقية بعد .

سنجد من خلال الموضوعة القادمة كيف سعت الحركة الصهيونية اعتماداً على الماسونية والتجمعات اليهودية (الغيتو) وعلى البلدان الأوروبية في تشديد مساعيها لضرب طوق من السيطرة على حاشية السلطان عبد الحميد الذي كان يكن العداء لهذه الحركة في البداية ، الأمر الذي جعل المحفل الماسوني في تركيا اضافة لليهود ، والدونما، للعب دور هام في إثارة التناقضات داخل السلطنة .

ب ـ طرد اليهودية من اسبانيا إلى السلطنة العثمانية والباب العالي :

إلّا أن الخطأ التاريخي الفادح الذي ارتكبه آل عثمان في السلطنة ، اضافة للسلاطين الآخرين بحق الشعوب في المنطقة هو

السماح للمهاجرين اليهود بالاستقرار في كنف السلطنة وبالمدن القريبة من الباب العالي ، والذين طردوا طرداً من اسبانيا ، فبرغم خدمة الانسانية والشفقة على اليهود أقدم السلطان محمد الرابع (١٦٤٢ - ١٦٩٢) في القرن التاسع عشر وتنفيذاً للشريعة الاسلامية ، التي يفهمها آل عثمان رضي بتمركز المجموعات اليهودية لقاء رشوة كبيرة من المال ، بعد أن رفضت دول أوروبية استقبالهم لمعرفتها بدورهم وأساليبهم وتحريضهم وألاعيبهم لصنع الفتن واختلاق الأكاذيب والخدع والمكر .

فيما بعد وما أن وطأت أقدام المجموعات اليهودية بلاد الباب العالي وحتى بدأت تتآمر على حكامها وتثير الفتن وتخطط للاستيلاء على المراكز الاقتصادية الحساسة فيها ، فركزوا جهودهم المادية والمعنوية في السلطنة بالسيطرة على الوضع المالي والأقتصادي فضلاً عن السماح لهم بممارسة نشاطاتهم في استثمار أموالهم وفتح مراكزهم الاقتصادية الخاصة بهم ، وقد كان هدف اليهودية العالمية بالسماح ليهود اسبانيا بالاستيطان في تركيا يتمحور حول قرب هذه البلاد وسيطرتها المباشرة على الأراضي المقدسة وسيطرتها بالتالي على فلسطين ، لقد فتح العثمانيون الباب على مصراعيه ليهود اسبانيا عام **١٤٩٢ للعمل والنشاط** بحرية دون أدنى مراقبة عليهم ، وفي عام **١٩٩٢ ستكون الذكرى** الـ ٥٠٠ لتأسيس أول مستوطنة يهودية في تركيا والتي كان لها الفضل الكبير في نشاط اليهودية والصهيونية داخل السلطنة برمتها .

يعـود طرد اليهـود من اسبانيا إلى الملكة ايزابيل الكاثوليكية ، بسبب من مواقفهم الخبيثة والمعادية لها ، أما اليهود يملكون الآن في تركيا أكثر من ١٣ كنيساً يهودياً في المدن الكبرى،وسالونيك لوحدها تضم ٣٦ كنيساً وعدداً كبيراً من المدارس الخاصة في الجمهورية التركية[١] .

عاش اليهود في السلطنة العثمانية تحت ظل التعاليم الأساسية للدين الاسـلامي والتي كانت تعـطي للأشخـاص المعتنقين للدين الاسلامي حق الجنسية الكاملة والحماية في مختلف المناطق التي كانت تسيطر عليهـا بالأخص في آسيا الـوسـطى وبلغـاريا وبلاد الشام ، وبفضـل التعـاليم الاسلامية السائدة تمكنت الجماعات اليهودية وغير اليهـودية من الانتـماء للاسـلام ، إلّا أن اليهـودية المرتبطة بالماسونية ارتبـطت بالاسلام لأغراض منها سياسية ومنها اقتصادية الأمر الذي جعلها تنتشر بسرعة في أكثر المدن كثافة ، وبدأوا بالعمل على تطوير علاقاتهم التجارية الخارجية[٢] من جهة وعلى اثارة الفتن والتضليل من جهـة ثانية بهدف الـزحف على مراكـز العمـل والقـرار للسيطرة على أسـواق (المال والذهب) على حد سواء كعادتهم إلّا أن وجود جالية أخـرى قد سبقتهم إلى هذه المنـاطق بعشرات السنـين لا تقل براعة وحنكـة بالعمـل في نفس المجـالات (الـذهب) قد دفع اليهود إلى التفكـير بخـطط ضد هذه الجـالية لازاحتهـا عن طريقهم بأسرع مايمكن ، أما الأرمن فقد حظوا بمنافسين جدد ماكرين وخبثاء ، إلّا أن تودد بعض التجار اليهود للأرمن أعطى في البداية انطباعاً أولياً عن طبيعة العلاقة القائمة بينهما إلّا أن اليهود كانوا يعملون سراً ضد الجالية الأرمنية لأنها كانت تسيطر على الاقتصاد التركي بصورة أكيدة

الأمـر الـذي كان يدفـع هؤلاء التجـار والأغنياء اليهـود إلى تركيب الأكـاذيب والأضاليل ضد هذه الجالية وكان لبعض الأرمن دور هام وحـظوة جيدة لدى بعض السـلاطـين العثمانيين من خلال علاقاتهم المـصـلحية المتشعبـة معهم وبـالأخص في محاولات هؤلاء اقتنـاء الـذهب ، وهذا مايفسر النشاط اليهودي المتزايد ضد الأرمن الذين شكلوا جسراً هاماً باتجاه الباب العالي بفضل مهنهم النادرة .

إلّا أن الأرمن بفضـل طيبتهم وانسـانيتهم آمنـوا لليهـود بل وسـاعـدوهم بالتغلغل شيئاً فشيئاً ضمن المرافق التجارية والصناعية والمـالية وقـد انبرى الأرمن يساعدون اليهود حتى بالأموال ، إلى أن صار لديهم نشاطات واسعة وطائلة وبدأ اليهود يصرفونها على احداث مراكز تجارية وصناعية الخاصة بهم ودعوتهم للتجار الأرمن لمساعدتهم بذلك وسرعان مانافس اليهود الأرمن والسكان الأصليين وهذا التطور المفـاجيء والسريع جعـل التجـار الآخـرون يخافـون من المنافسات الجديدة لهم ، بعد أن شعروا بان اليهود زحفوا بقوة المال والتأثير على المشـاريع المختلفـة وفي فترة وجيزة جداً صاروا من كبـار أصحـاب المحلات التجارية في أزمير وسالونيك وحتى في اسطنبول ذاتها[٣] .

إلّا أن بعض الأرمن ورجـال الـدين المسلمـين كانوا يدركون خبث وأحـابيل التصرفـات اليهودية ويعرفون عنهم الكثير من خلال التـاريخ ، وكـانـوا يعرفون بحق أنهم حاولوا سابقاً اغتيال السلطان محمد الفاتح ، ومع ذلك لم يرفض رجال الدين العثمانيين أن يستوطن اليهـود بلادهم في مستـوطنـات مغلقـة بالقرب من المدن الكبرى ، وهكـذا نجـد أن الجـاليات اليهودية الهاربة من اسبانيا استوطنت في

تركيا رغم كل الجرائم التي ارتكبوها بحق الاسلام والمسلمين في العهود السابقة من العباسية إلى الفاطمية إلى العصر الأموي حتى مستهل قيام الامبراطورية العثمانية والأغرب من ذلك كله ثناء السلطان (مراد الثاني) على وجود اليهود وتكاثرهم ونشاطهم في السلطنة العثمانية وعلى مقربة من الباب العالي وترحيبه الكبير بهذه الجماعات التي استهدفت منذ الزمن الغابر تحقيق التوراة والاقتراب من الأراضي المقدسة والسعي لاستيطانها ، وهذا ماستفعله بتأييد سلاطين الامبراطورية على الرغم من أن ذلك يعارض الأديان المقدسة وبالأخص الدين الاسلامي الذي عارض وجود الجالية اليهودية بفلسطين ، إلّا أنه حينما حاول بعض التجار اليهود ومالكي المشاريع ورؤوس الأموال من التغلغل أكثر فأكثر وجدوا أنه لايمكن ذلك إلّا بقيام بعضهم ، وعن طريق المحفل الماسوني أيضاً بالدخول في الدين الاسلامي بهدف التأثير والزحف على مواقع القرار والسلطة السياسية والدينية على السواء وبالتالي على الباب العالي في شتى الأمور وبالأخص في مجال نقل المزيد من اليهود .

بينما كانت المجموعات اليهودية تنشط وتفكر وتعمل كعادتها على أحداث تغييرات لصالحها ، وجدت أنه لابد من اعتناق الدين الاسلامي حتى تتمكن في المستقبل المنظور وغير المنظور من تحقيق الأهداف التوراتية ، فبادروا من خلال المطلعين على الديانة الاسلامية والمشبعين بروح التعصب لليهودية للدخول في الدين الاسلامي كذباً ورياءاً وتم اشهار اسلام بعضهم بغية البدء وعلى الفور بتسهيل مهام الجماعات اليهودية للتغلغل في السلطنة فتمكنوا

وهم على هذه الحالة من شراء الذمم ورشوة البعض واستخدموهم فيما بعد لتحقيق مآربهم تحت شعار (خدمة الاسلام والمسلمين) ، وقد سمي هؤلاء اليهود في السلطنة العثمانية (بالدونما) أي المرتدين ولايزال البعض منهم يسيطر على أركان الحكومة التركية حتى الآن .

من المعروف أن اشهار هؤلاء اليهود لاسلامهم جاء بهدف سياسي ، حيث كان يعني الكثير بالنسبة لبعض المسلمين المشرفين على المناطق والأماكن الاسلامية التي لها علاقة مباشرة مع الباب العالي ، إلّا أن هؤلاء لم يدركو على وجه التحديد مدى خبث ونوازع اليهود للسيطرة فلاقوا من المجتمع التركي والاسلامي في بداية الحال كل العون والتقدير لا بل والاحترام المميز لاعتناقهم الدين الاسلامي ، هذا عداك عن العون المالي الكبير واللا محدود الذي كان يصلهم من أبناء جلدتهم من الأقطار القريبة والبعيدة ، أكان ذلك لليهود أو للدونما لتشجيعهم على التغلغل والسيطرة ، مظهرين الثناء والعطف معهم ومدركين لأهمية أهداف هذا العمل ، مما جعلهم يوسعون من علاقاتهم أفقياً وعامودياً ونسج علاقات متشعبة جداً مع التجار الأوروبيين والشركات الأجنبية التي كان يملكها الرأسماليون اليهود في النمسا أو ألمانيا ، حيث كانت سالونيك محط اهتمام طرق التجارة الأوروبية مع آسيا وبلاد الشام[٤] .

الأمر الذي أدى إلى بروز حنكتهم الدبلوماسية والتجارية مما جعلهم محط أنظار الناس والتجار من مختلف البلاط والمناطق الأخرى ، بفضل صلاتهم الخارجية فبسبب من التأخر الاقتصادي والتكنولوجي للامبراطورية عن أوروبا والذي كان يظهر بشكل أكيد

فأكيد تأخرت الامبراطورية عن الحضارة ، وفي التجارة قدمت لفرنسا معاهدة التنازلات المعقودة عام ١٧٤٠ إذ حددت معدلاً ضعيفاً على المستوردات ومنح حرية شبه مطلقة لاستيراد السلع الأجنبية(٥) ، ذلك كله إبان الثورة الصناعية، وكان لهؤلاء المقدرة أيضاً على حل بعض الأمور المستعصية بالتعاون مع الأرمن أو باستبعادهم ، فبدأ الباب العالي يعتمد عليهم تارة ويبدهم تارة أخرى بعد أن استطاعوا بث الفرقة والدسائس شيئاً فشيئاً عن الأرمن و الأقليات القومية والدينية الأخرى للأيقاع بهم عند السلطان ، ولكي يصار لضربهم بقبضة من حديد من قبل السلطات العثمانية .

لقد تمكنت الجالية اليهودية من ادخال الربح في التجارة ، فكان الميزان التجاري التركي رابحاً لكن ذلك كان بفضل النقود الاسبانية والنمساوية التي جلبها اليهود بتجارتهم وكان الأتراك يفضلونها على أية عملات أخرى حيث كانت تستخدم لشراء سلع باهظة الثمن .

وبفضل نشاطهم الملحوظ بالتجارة كانت ترسل لهم معونات مالية من الخارج أيضاً عبر الشركات اليهودية الاوروبية والأمريكية التي أخذت تبحث عن مصادر خارجية لها وبفعل نشاط البعثات الدينية التبشرية كان للمؤرخ التركي جواد ايتلهان(٦) دوراً هاماً في تحديد دور (الدونما) واليهود في الحياة الاقتصادية والاجتماعية فضلاً عن الحياة السياسية حينذاك قائلاً : « عند وصولهم الباب العالي بادروا بكل حزلقة وخبث لترويج الاشاعات والأكاذيب والأضاليل للحط من هيبة الأمبراطورية العثمانية ، وبدأوا بحملات معادية للدين

الاسلامي وللطوائف الأخرى بالأخص للمسيحية كي يظهروا بمظهر آخر أي المستحسن لدى السلطات » . .

وبفضل أساليبهم العدوانية والشوفينية والمكر المدروسة جيداً ظهر من خلال ذلك بعض رجالاتهم في أعمال المال والاقتصاد وحتى في مجال الاعلام ، ويقال أن يهودياً مرتداً اعتنق الاسلام من أصل مجري اسمه (إبراهيم) أصبح مديراً للنشر المطبوع لأول مطبعة تركية (١٧٤٢ - ١٧٨٤) حيث كانت الطباعة واللغة والعلم والفقه حكراً على رجال الدين فقط[٧] .

لقد كان هؤلاء مؤثرون فى الأوضاع السياسية والعسكرية فاقت شهرتهم فيما بعد حدود التقدير أمثال (مدحت باشا) و (علي باشا) و (جاويد) و (سالم) و (امانوئيل قرة صو) من الدونما ، هؤلاء الذين لاحظوا أن قدرتهم على النيل من الأرمن وازاحتهم عن الطريق في ميدان الصراع المكشوف بات أمراً لا مفر منه فأرادوا فعل ذلك عن طريق « المحفل الماسوني » في سالونيك والذي كان يضم أشهر رجالات الحكومة العثمانية من الأتراك والدونما فاوعزوا بالوشايات والدس على الأرمن لدى الباب العالي والمقامات الحكومية المسؤولة بأن هؤلاء يتصلون مع الدول المعادية للسلطنة لتقويضها ، كما تمكن البعض منهم بالعمل في بلاط الباب العالي وتم تزويد بعض المسؤولين بمعلومات كاذبة هدفها اتهام الأرمن المسيطرين على الاقتصاد التركي بالاتصالات الخارجية المزعومة وبالتجسس مع الألمان على الامبراطورية أو قيامهم باكذوبة تهريب الأموال إلى خارج البلاد بهدف التأثير على اقتصاد الامبراطورية أو بالتخطيط لاغتيال

المسؤولين وكبار الضباط .

بعد ذلك أسس اليهود جمعيات غاية في السرية خوفاً على مشاريعهم وخططهم ومن خلال هذه الجمعيات ظهرت النوادي الماسونية في الهيئات السياسية والاقتصادية العليا والعامة وبعد ذلك أحدثوا جمعية تركيا الفتاة حيث كان يقيم في سالونيك قرابة ٩٠ ألف يهودي انخرطوا في حركة تركيا الفتاة وكان لهم تأثير كبير فيها .

إلّا أنه قبل ذلك وخلاله أدركت حركة الماسونية العالمية بتركيبتها اليهودية بمقدرة يهود تركيا على العمل وحياكة المؤامرات ، فأرسلت لهم مايخصهم من المؤتمر الذي عقد في مدينة (كاتوفيج) البولونية عام ١٨٤٥ ، وطلبت من الجالية اليهودية تنفيذ خططاً جديدة لصالح الحركة الصهيونية العالمية التي بدأت تتبلور لتوها ، وكانت قضية النعرات الطائفية ، وتقليب السلطات على الأقليات وتدمير الوحدة الوطنية ، وضرب الأرمن ومرتكزاتهم والسعي لابعادهم عن مراكزهم الاقتصادية التي كانوا يسيطرون عليها ، والتوغل في الباب العالي وحاشية السلطان من صلب تلك الخطط مع زيادة نفوذ الرأسمال اليهودي في سالونيك واسطنبول .

كان ليهود سالونيكا دوراً هاماً ومبرزاً في صياغة وتنفيذ خطط مؤتمر كاتوفيج ، إذ تمكن هؤلاء بعد فترة وجيزة من تسلمهم مقررات المؤتمر من ضرب العلاقات العثمانية مع الطوائف المسيحية في عدة نواحي بما فيها ضرب نفوذ الأرمن .

جـ ـ المسامير الصهيونية في نعش السلطنة العثمانية :

بفضل أساليب اللف والدوران ، والمراوغة والتضليل البشع ظهر من يهود الدونما مجموعة لابأس بها من الضباط ورجال السياسة المختصين بترويج الاشاعات والأكاذيب لضرب السلطنة العثمانية واشغالها بكل الأمور المتناقضة ، بداخلها ، وهم فضلاً عن ايقاع المسيحية في خلافات مع الباب العالي إلّا أنهم شوهوا الاسلام وعبثوا بسمعته وسمعة السلاطين وحطوا من قدر الأديان كلها لضربها بعضها ببعض ، وكانت نماذج عديدة من تلك القصص والأخبار الكاذبة تنشر في الصحف النمساوية والايطالية والفرنسية والألمانية المهودة (التابعة للجاليات اليهودية) ، أما جمعية تركيا الفتاة فقد مولتها الحركة اليهودية جيداً حتى اشتد عودها وتوسعت سطوتها ، وبعد ذلك عملوا إلى اعلان التمرد على السلطان بانقلاب ٣١ آذار واعلان الشعارات الماسونية ، وكان مدحت باشا واحداً من الدونما الذين أقدموا في عام ١٨٧٦ على اغتيال السلطان عبد العزيز واستبدل بمراد الخامس حيث كان السلطان عبد العزيز يفضل الأرمن على اليهود لأنهم أقل عدوانية وخبثاً ، ويعرفهم بطيبة أخلاقهم وحسن طالعهم في العمل التجاري بغير اليهود الذي عرفهم ولادراكه بخبايا الأمو استبعدهم عن المراكز الحساسة في الدولة ، إلّا أن الماسونية والحـ اليهودية لم يقفوا مكتوفي الأيدي ، وحينما وجدوا أنهم محاصرون ، تآمروا عليه وأزاحوه عن الباب العالي علماً أن حفيده مراد الثاني أنقذهم من جور وظلم الكنيسة الكاثوليكية[٨] .

إلّا أنــه حينـما استلم السلطان عبـد الحميد السلطة والبـاب العـالي طلب على الفور معاقبة مدحت باشا الذي اعتبره خائناً ونفاه من البلاد ، حيث كان هذا الاجراء يجري بشكل متأخر بعد أن وطد اليهـود صلاتهم ونفوذهم وتفشت الماسونية بين صفوف كبار الضباط والمسؤولـين بعـد تأسيس عدة محافـل ماسـونية سرية تعمـل جميعهـا لصالح اليهودية ومآربها .

لقد اعتمدت المحافل الماسونية واليهودية في أساليبها الرخيصة على تحريض الأرمن بخبث ودهـاء على السلطات التركية قائلين بأن الباب العالي سيزمع قريباً على الفتك بهم بقوة ودون رحمة من جهة ، بل زد على ذلـك أن اليهـودية شجعت الأرمن على الاتصـال ببعض الـدول الأوروبية لتـأمـين صلات تجارية معهم ، وكان البعض من الأرمن يتلقى الـطعنـات من الخلف من جهة ثانية ، من دون التنبه للخـدعـة وللمصـير القادم ، وكان اليهود بنفس الوقت يرسلون إلى السلطات رسـائـل ووشـايات بتحـركـات الأرمن ويحرضونه مع كبار ضبـاطـه عليهم ، حتى ساءت الأوضاع الطائفية في بلاد الأناضول وتـلقـى الـسـلطان الـطعـم أيضـاً من دون البحث عن الجـذور والأسبـاب ، فحصلت حوادث مؤسفة ومجازر ضد الأرمن استغلتها الصحـافة الأوروبية وبالأخص الوسائل الاعلامية التي يسيطر عليها العنصر اليهودي الذي له مصلحة أكيدة في الحملة على السلطان عبد الحميد .

بدأت بعــد ذلـك سلسلة أحـداث من هذا القبيل ، تشهـر بشنـاعـة بمـارسـات السلطان العثماني وتحريض الأقليات والوسائل

الاعـلامية في أوروبـا عليه شيئـاً فشيئـاً ، إلّا أن السلطان سنّ تشريعـات وقـوانين تحفظ حقوق الأقليات وقتها ، بل وحد من نفوذ الأمـير مراد الذي كان يدور نشاطه بفلك المجامع والمحافل الماسونية واليهـودية ، وقتهـا شعـر هؤلاء بمضـايقة السلطان لهم واعتبروا أنه لا مفر إلّا بالقيام بانقلاب لصالح الأمير مراد رغماً عنه وتحت ضغط حسـين عوني باشـا المـرتبط بالمحفـل الماسوني ، وازاء ذلك كله ومع ازدياد كتـابـة الصحـافـة الأوروبية عن أوضـاع الأرمن في السلطنـة العثمانية بدأت الدول الأوروبية تتدخل بالأوضاع الداخلية للسلطنة[٩] .

أمـا في عهـد السلطان عبـد الحميد فقـد توسـع نفوذ الحركة الصهيونية واليهـودية وتمّ الاستيلاء على اقتصـاديات تركيا والنواحي المختلفة المتعلقة بها، بعد أن تم استبعاد الأرمن الذين كانوا يتحكمون بوضعية الاقتصاد التركي كلية وبعد أن نجح اليهود وانصارهم بفرض هالة رهيبة على الأرمن لكي يهربوا ويغادروا الأراضي الـتركية خوفـاً من بطش السلطان الـذي لايقـل عن بطش روسيا القيصرية بهم سابقاً ولكي يطمسوا الحقائق ويبدلونها بأكاذيب تصب في مصلحتهم النهـائية زرعـوا بذور التفـرقـة والحـرب بين السلطان والطوائف الأخرى وحتى بين السلطان والعرب أيضاً .

هذه المـواقف التي وقفهـا السلطان منصـاعـاً ومنسـاقـاً إلى الـدسائس والوشايات أدت إلى تحريضه فسعى إلى اضطهاد الأرمن والطوائف الأخرى اضطهاداً عنيفاً ، واستبعدت الطائفة الأرمنية كلية عن مسرح الحياة الاجتماعية لفقرهـا للتنـظيم واشـاعـة الأكـاذيب

والأضاليل ضدها مثلما فعل اليهود وعدم مقدرتهم على اقناع السلطان مثلما فعل يهود (الدونما) واستبعدت كذلك من الحياة الاقتصادية التي كان لها تأثير كبير فيها فكان اليهود يمارسون لعبة مزدوجة فتمكنوا من السيطرة على الميادين الاقتصادية والاجتماعية على السواء في سالونيك وازمير واسطنبول ومدن أخرى ، ومع احتلالهم لمراكز الأرمن بدأ العديد من المخبرين والواشين التابعين للسلطان يؤكدون على أن اليهود وراء اضطهاد الأرمن ، وفضحت على التوالي حقائق ألاعيبهم وفسادهم وحينما ظهر تيودور هرتزل شرع بالمطالبة بانشاء وطن قومي لليهود بناء على مقررات المؤتمر الصهيوني في مدينة (بال بسويسرا) الذي اشترك فيه ممثلين عن اليهودية التركية والأوروبية والأمريكية .

لكن عندما طرح في المؤتمر الصهيوني قضية الوطن القومي لليهودية العالمية في فلسطين ظهرت أحابيل وأكاذيب الدول الأجنبية التي سرعان ماتحولت إلى مصالح مشتركة مع الحركة الصهيونية العالمية القائمة أساساً في شرق المتوسط ومنطقة الخليج العربي ، إلاّ أن هرتزل كان في حقيقة الأمر يعد مشروعاً صهيونياً غاية في التناقض فتارة يجري الحديث لاستيطان (ليبيا) أو (أنغولا) وتارة أخرى لاستيطان تونس أو قبرص إلاّ أن الأوساط الحاكمة في فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة ونتيجة لتنامي مصالحهم مع مصالح الشركات اليهودية الرأسمالية قامت الدول الاستعمارية بتكبيل السلطنة بعدد من المعاهدات لسلخ المناطق العربية عن السلطنة ففي ١٦ آب ١٨٣٨ مثلاً وقعت بريطانيا معاهدة تجارية مع تركيا جاءت المعاهدة لصالح

الاستعمار البريطاني بشكل كامل حيث ألغت احتكار الدولة التركية لتجارة مختلف أنواع الخامات مما هيأ للرأسمال البريطاني - واليهودي لشراء الخامات بأسعار واطئة جداً باستغلال الأراضي العربية ، وفي هذه الأثناء أشار بالمرستون في توجيهه رسائل إلى أول نائب للقنصل في القدس (يونغ) إلى أن احدى مهامه الأساسية (حماية اليهود إلى أقصى درجة)[١٠] .

في نفس السياق ايضاً بعث بالمرستون إيضاً توجيهاً لـ (بونسيوبين) إلى أنه من الضروري التوضيح للوزير السامي : « بأن من المفيد للسلطات فائدة قصوى لو حصل اليهود القاطنين في مختلف بلدان أوروبا وافريقيا على استقبال المهجرين اليهود وتوطينهم في فلسطين وذلك لأن ثرواتهم المالية وحنكتهم في تدبير الأوضاع الادارية والاقتصادية ستقدم خدمة كبيرة ومساعدة على زيادة موارد السلطنة التركية وتطور أوضاعها العامة باتجاه الأحسن[١١] .

عندما أيقنت الحركة الصهيونية العالمية بفضل دعم الدول الأوروبية المنقطع النظير لها وللجاليات اليهودية بدأت تتحرك من موقع القوة وكان هرتزل رأس هذه الحركة ولقد ازدادت الحركة ثقة بنفسها عندما وجدوا أن الدول الأوروبية الاستعمارية بحاجة لهم ولخبراتهم ، وبعد سلسلة محاولات لاقناع السلطان بهم وبخبراتهم لتحقيق المشاريع الاقتصادية ، كانت المؤسسات المالية والمحافل السرية الضالعة تعمل معها بنفس السياق وأسهمت الصحافة بقوة ازاء ذلك ، وأكدوا على ضرورة التوسع في تحطيم ارادة السلطنة العثمانية ، والعمل على الاستفادة الواسعة من الرأسمال اليهودي

لتمويل المشاريع المتعددة .

كذلـك في أواسط القـرن التـاسـع عشر استخدمت الأوساط الحـاكمـة الهيئـات الـدبلوماسية والتجارية ، اضافة للدين المسيحي واليهـودي على نطاق واسع لتقوية نفوذها في جسم السلطنة العثمانية وتحديداً في العالم العربي ، أما كارل ماركس فقـد نشر في إحـدى مقـالاتـه التي تضمنت عنواناً « الولايات المتحدة في أوروبا ١٩ آب ١٨٥٣ « نيويورك ويلي تريبيون » باقـة معلومـات من صحف ألمانية ونمسـاوية وايطالية تدلـل بصـورة قاطعـة على أن الـولايات المتحدة حاولت عام ١٨٤٠ أن ترغم ملك نابـولي على التنازل عن « جزيرة صقلية » لاستخدامها للأسطول البحري الأمريكي[١٢] وحاولوا أيضاً الاستيلاء على مينـاء (اينـوس الـتركي) لقاء مساعدة عسكرية ومالية وقال ماركس بهذا الصدد أيضاً :

« تأكيداً للاستنتـاجـات بشـأن تنشيط السياسـة الأمريكية في الشرق الأوسط يستشهد كارل ماركس بمقالة لصحيفة (البرنسانتز) حيث بينت : « اقنـاع الـولايات المتحدة الأمريكية قد أبدت آنذاك اهتماماً كبيراً للغاية بانحلال السلطنة العثمانية ووجهت اهتماماً أوسع أيضاً بصورة أكيدة على مصر وليبيا وبرزخ السويس وفلسطين »[١٣] .

لقـد ازداد نفـوذ الحـركـة الصهيونية العالمية كربيبة للامبريالية العالمية لتحقيق قرارات مؤتمرها ، وحينذاك تكاثرت دعوات الصهاينة للرجوع إلى أرض مايسمى بأرض الأجداد حسب التوراة وبدأت من خلال الشركـات الأمريكية والبريطانية والفرنسية والألمانية بالتخطيط للرجوع إلى هنالك ، وقد سمح بذلك النشاط المتزايد لهرتزل الذي

كان يجمع تبرعات كبيرة لتنفيذ المخطط الصهيوني الاستعماري وبدأ العمل بأساليب الرشوة والسيطرة الاعلامية المركزة في بلاد أوروبا ، وعوضاً عن ذلك كله إيضاً تشابكت المصالح وتوطدت بين الرأسمال اليهودي والرأسمالية العالمية حيث كان العديد من اليهود يسيطرون على أساليب وادارات المالية والتجارة يقول أحد الكتاب اليهود حينذاك (R. Wagner) : « أن اليهود ليسوا سوى الأكثر نفوذاً في الدول الأوروبية وسيبقوا على هذه الحالة مسيطرين على حكامها بالمال وبالرشوة والتحكم (بالذهب) حيث يعتبرون أنفسهم قوة مادية التي تتحطم أمامها ارادة العمل والمواجهة »(١٤).

إذاً عندما ننظر إلى نشاط الحركة الصهيونية في اطارها التاريخي العميق يبدو لنا جلياً من البداية ارتباطها الوثيق مع الرأسمالية العالمية والحركة والفكر الاستعماريين اضافة إلى دورها في تنشيط العنصرية والشوفينية اللذين كانا سائدين في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، ولعل التزاوج الذي حصل في علاقة الطورانية التركية مع الحركة الصهيونية يعبر بدقة عن ذلك النشاط ، إذ شهدت هذه الفترة بالذات فهما قويا لدى الحركة والدول تلك لتمزيق واستثمار واحتلال الوطن العربي والسيطرة على خيراته وموقعه الهام قبل اكتشاف النفط فحينما احتلت الدول الأوروبية ، مثل فرنسا وبريطانيا وايطاليا ، بسبب من ضعف السلطنة العثمانية وهشاشتها داخلياً وخارجياً كانت المؤامرات تحاك وراء الكواليس وتتحرك الدوائر الاستعمارية الأوروبية والصهيونية وعبر السلطنة لاحتلال سورية الطبيعية (فلسطين ، الأردن ، سورية ، لبنان) وحتى أجزاء واسعة من العراق والجزيرة

الخليج ، وبنفس الـوقت تشجـع هذه الـدول النـزعـة العنصرية للطورانية التركية التي أفردت لها خارطة تحت أساس انشاء « تركيا الكـبرى » وكـانت تلك الـدول الاستعمارية تشارك بضرب السلطنة العثمانية والاسراع في هزيمتها بفضل الدعم الكبير للحركة الصهيونية واليهـودية في تركيا التي أخـذت على عاتقهـا ضرب السلطان عبـد الحميد ، واحياء جذور العنصرية على أن تكون مرتبطة مع المشروع الصهيوني الكبير .

في هذا الاطـار التـاريخي الصعب نشـأت الحركة الصهيونية وطـورت نشـاطـاتها بدعم ملموس من الشركات الاحتكارية العالمية فكانت ولادة صعبة لتزاوج الفكر الصهيوني والرأسمال الصهيوني مع الفكـر والـرأسـمال الاستعماري الأوروبي وهذا هو السبب الجوهري الذي أفضى إلى استجابة الدول الاستعمارية لدعم الحركة الصهيونية .

أمـا في علاقـات هرتـزل بالشركـات الاحتكـارية الأوروبية والأمريكية على السواء لها دلالة خاصة خصوصاً مع شركة آل روتشلد حيث لعبت علاقـاتهـما المشـتركة دوراً هاماً في تدعيم السيطرة المالية اليهودية في أطراف السلطنة العثمانية وفي برزخ السويس ومصر وليبيا وسـورية ولبنـان ، وتعـاظم دور الـرأسمال اليهودي الذي اشترك في معظم المشاريع الاستعمارية وأثناء هذا النشاط المتزايد أدرك اليهود أن السلطان عبد الحميد لا ينصاع بسهولة لمآربهم فكانوا وراء مجزرة ساسون (Sassonn) التي وقعت بين عامي (١٨٩٤ ـ ١٨٩٦) قتل خلالهـا أكثر من ألف أرمني وتركي[١٥]، في نفس الوقت الذي وقعت

فيه اعتـداءات على الجـالية اليهـودية في روسيا القيصرية ، وطالبت الدول الأوروبية كما أوضح بالمرستون نفسه أنه يوجه تعليماته إلى ممثلي بريطانيا في الشرق قبــل ذلـك بكثـير (١٨٣٩ ـ ١٨٤١) حرصـه الشـديد على حماية اليهـود وتشجيع هجرتهم إلى فلسطين ، كما نجد أدلـة قاطعة وكثيرة على محاولات اقناع الباب العالي بتوطين اليهود في فلسـطين منـذ ذلـك الـوقت إلى أن جاء السلطان عبد الحميد وبدأ الضغط من كل الاتجاهات لانتزاع موافقته على ذلك فوافق في النتيجة[١٦] .

لكن ليورنارد شتاين مؤلف كتاب « وعد بلفور » يقول :

« ان الأحداث المؤدية إلى وعد بلفور قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً لا بل عميقـاً بالتنـافس الحـاصـل حينذاك بين فرنسا وبريطانيا على احتـلال فلسطين ورغبة كل منهما كسب ود الحركة الصهيونية العالمية فضلاً عن كسب و د هرتزل نفسه . . . »[١٧] .

حققت الصهيونية العــالمية من خلال اليهــودية العـالمية التي اعتبرتها رأس جسر لمصالح الاحتكارات العالمية ، وبوساطة سيطرتها على الذهب والرأسمال فخططت لامتلاك النفوذ أيضاً وأثرت بفعالية على السياسة الخارجية للدول الأوروبية حيث كان ذلك جزءاً أساسياً من أهـدافها العالمية ، وبدأت الصهيونية بالتعاون الوثيق الصلة مع الـرأسـمالية العـالمية لحفر قبر السلطنة العثمانية والسعي للسيطرة على المنافذ الأساسية للقرارات السياسية والاقتصادية فيها .

د ـ اصطدام السلطان عبد الحميد مع الصهيونية ومنحه وسام المجيدي لهرتزل :

تمكنت مجموعات يهودية من السيطرة على جمعية الاتحاد والترقي حيث كان للدونما دوراً هاماً في ذلك ، وقد دعت هذه الجمعية الأقليات للتمرد على السلطان عبد الحميد بعد أن رفض استقبال هرتزل مبعوث الحركة الصهيونية في بداية الأمر وبعد أن فوض مؤتمر بال هرتزل للقيام بمساعيه لاقناع السلطان العثماني بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ولهذا اعتبرت الدول الأوروبية والولايات المتحدة أن السلطان لن يرفض لهرتزل طلبه هذا في البداية ففضلت توقعات تلك الدول ، وفي تلك الأيام كانت السلطنة تواجه الثورات الوطنية في البلقان الموجهة ضد الحكم العثماني المستبد والتي أعقبها اصطدام مع روسيا ، وانتهى بعد ذلك الأمر بمعاهدة (سان ستيغانو) وبعد ذلك بمؤتمر برلين الذي سلخ عن النفوذ التركي مقاطعتين (أبيروتيسالي) اليونانيتين ، حيث حاول هذا المؤتمر « أي مؤتمر برلين » تقسيم بلغاريا إلى أقسام ومناطق إلّا أنه بعد تحرر بلغاريا عام (١٨٧٧ ـ ١٨٧٨) وانتهاء الحرب الروسية ـ التركية وما أن صمتت الحرب حتى وجد الشعب البلغاري نفسه مقسماً أيضاً مرة أخرى من خلال تدخل الدول الاستعمارية انطلاقاً من مصالحها الرأسمالية في التنافس والسيطرة على مداخل التجارة بين أوروبا وتركيا التي تعبر عبر بلغاريا وحجمت الدولة البلغارية الفتية ومارست أوروبا والسلطنة العثمانية شتى الأساليب الوحشية بحق الشعب البلغاري الميكدوني وتوقه للحرية والانعتاق من رجس الاحتلال العثماني ونحو روميلي المستقل

وانفصال العرب عن السلطنة وهذه الأمور قد عانت منها السلطنه لكنها لم تكن إلاّ الدولة المستعمرة والمستبدة تحت حجج أن الشعوب الأخرى أقل مستوى من الشعب التركي .

وكانت اليهودية في هذه الأثناء تلعب دوراً قذراً تجاه تحرر شعوب البلقان فكانت عناصرهم المرتبطين بالماسونية ومحافلها في المدن التركية يشعرون بالثوار المناضلين ضدّ العثمانيين وممارساتهم العدوانية ، كذلك شجعت فرنسا للتدخل في شؤون سورية عام ١٨٦٠ وتم اثارة النعرات الطائفية فيها وكانت المحافل الماسونية واليهودية تغذيها وتأججها بقوة ، وقام هرتزل بمساعي كثيرة مع ويلهم الثاني امبراطور ألمانيا لاقناعه بالتدخل لدى السلطان عبد الحميد للسماح للحركة الصهيونية في استيطان الأراضي المقدسة (فلسطين) حيث كانت ألمانيا بحاجة إلى اليهود ورأسمالهم وخبراتهم الاقتصادية مع تعاظم نفوذهم ودورهم في أوروبا ، وتم انشاء الكنيسة الألمانية في فلسطين بموافقة من السلطان وبالاتفاق بين هرتزل ـ وويلهم الثاني على أن لقائهما ببعضهما في القدس حينذاك ، وبعد أن قابل الامبراطور الألماني السلطان عبد الحميد في الاستانة وقبل أن يقابل هرتزل السلطان اتسم موقف السلطنة العثمانية بمعارضة هجرة اليهود بشكل مباشر لكن فيما طلبت جمعية (أحباء صهيون) في نيسان ١٨٨٢ من القنصل العثماني العام في أوديسا منح المهاجرين اليهود سمات وتأشيرات دخول إلى السلطنة بغرض الاستيطان في فلسطين ولفت عدد المهاجرين الكبير انتباه القنصل العثماني فاستعان برأي الباب العالي ، فرد عليه السلطان في نهاية

نيسـان بعـدم السـماح لليهود بالاستيطان في فلسطين إلاّ بعد نيلهم للجنسية العثـمانية مع موافقـة السلطان على استيطانهم أيضـاً في ولايات أخـرى شريطة أن يكـونـوا رعـايا عثمانيين وأن تطبق عليهم القوانين العثمانية[١٨] لكن هؤلاء ظلوا خارج القوانين وحاولوا تسخيرها لصالحهم .

لكن السلطات العثـمانية طلبت عدم السـماح لليهـود الـذين يحملون جنسيات روسية ورومـانية من الدخول إلى متصرفية القدس كما أبلغت القنصليات الـدبلومـاسية البـاب العالي بمنع الاستيطان الجماعي في فلسطين[١٩].

كذلـك أصدر الباب العالي أوامر بعدم منح اليهود الاقامة في القدس وفي فلسطين عامة إلاّ إذا دخلوا الدين الاسلامي أو المسيحي وقبلوا أن يكونوا رعايا عثمانيين على أن يسمح لهم في فترات الحج فقط ويغادرون البلاد ، وجاء هذا القرار بعد أن تحققّ الباب العالي من الخـطر الصهيوني ، وكـان السلطان تسـاوره بعض الشكوك بأن هذه الحركة والهجرة اليهودية تستهدف السلطنة والاسلام[٢٠].

ويـاشرت سلطات موانيء فلسطين (يافا وحيفا وعكا) بوضع صعـوبات أمام اليهود المهاجرين من جميع الجنسيات بما فيهم اليهود الانجليز والأمـريكيين ، لكن هؤلاء تمكنـوا في بعض الأحـوال من التسلل إلى فلسطين عبر الرشاوي وشراء الذمم واستوطنوا فيها .

إلاّ أن مسـاعي هرتـزل للاتـصـال بالسلطان عبد الحميد منذ أوائـل أيار ١٨٩٦ محاولاً البحث عن السبـل الكفيلة بايجـاد قواعـد

وأسس للتفاهم الصهيوني ـ العثماني جوبه كله بالرفض الصريح من قبل السلطات في بداية الأمر ، إلّا أن هرتزل تمكّن فيها بعد وعبر الدونما من مقابلة السلطان عبد الحميد عام ١٩٠١ بعد أكثر من خمسة سنوات على بدء الاتصالات ، وحاول هرتزل ازلال السلطنة والسلطان فتحدث مطولاً عن الوضع الاقتصادي للسلطنة العثمانية وديونها وتدهور أحوالها العامة ، وتكلم عن امكانيات الحركة الصهيونية العالمية وفق عرض مفصل لاعادة بناء الوضعين المالي والاقتصادي للسلطنة ومشروع خاص لتصفية الديون المترتبة على السلطنة للدول الأجنبية ، وقال هرتزل وقتها للسلطان :

« إذا أعطيتنا جلالة السلطان فلسطين فيمكننا أن نؤمن لك تنظيم المالية التركية تماماً وسنشكل بالنسبة لأوروبا هناك قطعة من سور ضد آسيا وسنكون الحارس الأمامي للحضارة من البربرية ، وسنبقى كدولة محايدة على صلات مستمرة مع أوروبا كلها وهي تلتزم بضمان كياننا . . »[٢١].

من الواضح أيضاً أن السفير الألماني في اسطانبول حينذاك لعب دوراً هاماً في لقاء هرتزل بالسلطان : فقدم السفير التماساً للسلطان عبد الحميد بأن يسمح للحركة الصهيونية باقامة وطن لهم في فلسطين وانشاء مستوطنات مقابل أية شروط يمكن أن يقدمها السلطان (كرشوة) ثمّ استمرت الاتصالات بعد ذلك بشكل « سري » بين هرتزل (وعزت باشا) لأن السلطان حاول طرد هرتزل من الباب العالي وكان عزت باشا سكرتيراً للسلطان وإبراهيم بيك ترجماز له وتركزت المباحثات السرية الدورية حول احتياجات

السلطان لـ /٤/ ملايين جنيه خلال فترة وجيزة(٢٢) . وفي شباط عام ١٩٠٢ ودعي هرتـزل مجدداً للبـاب العـالي من قبل ابراهيم باشا " كترجمان" للسلطان لزيارة اسطنبول حيث أبلغ بواسطة عزت باشا قرار السلطان غير المشجع :

« ان السلطان عبـد الحميد مستعـد لأن يفتـح باب السلطنة لكل اليهود الذين يصبحون رعايا عثمانيين أما المناطق التي سيعيشوا فيها فلا يحددونها هم بل الباب العالي ويستثنى من ذلك القدس ، وفلسطين » .

إلّا أن هرتــزل رفض هذه الأفكـــار مؤثـراً على أهمية الهجـرة لفلسطين(٢٣) لكن خلال هذه الفترة وبعد رفض السلطان عبد الحميد للمـطالب الصهيونية سعى اليهـود والـدونـما الصهـاينـة للتـأثير على السلطان وعلى موازين القوى داخل السلطنة والباب العالي فدعوا إلى التمـرد عليه ، فتـدهـورت الحالة بشدة في السلطنة وكانت الماسونية تشـترك بقـوة إلى جانب الحركة اليهودية لضم قائد الجيش التركي في سالـونيك (مركـز الثقل اليهودي) وحرضوه على التمرد ، لكن قبل ذلك بفترة وجيزة كان هرتزل يحاول اعادة الاتصال بالسلطان لزيارته وانتزاع موافقته فلم ييأس من رفضه لشروطه وأعاد الاتصال فعلاً عن طريق السفـير الايطالي وتبعـه بمجمـوعـات كبـيرة من الـوعـود والضغوطات على السلطان حيث كانت أوضاع البلاد لا تحسد عليها مطلقـاً متطلعة لوعود السلطان بتحسين الأوضاع وزار هرتزل الباب العـالي ولم يتفق على الحيثيات وخرج بخفي حنين ، إلّا أن السلطان الـذي كان يثق بالـدونـما كل الثقة أدرك أن هرتزل بفضل الرأسمال

اليهودي والجالية اليهودية وسيطرتها المالية في المدن التركية الكبيرة ستؤثر على الوضع الاقتصادي في البلاد ، فأكد لحاشيته أن هرتزل قادر فعلاً على ازاحته من الباب العالي وقد قال السلطان بهذا الشأن لرئيس ديوانه تحسين باشا :

« سترى ياتحسين أن هذا الرجل سيطيح بعرشي أن عاجلاً أو آجلاً لأنه قادر على ذلك ولأنه يمثل أكبر قوة مالية ليس في تركيا بل وفي أوروبا وسيطرته على التجارة مع بلادنا والعالم . . . »[٢٤].

أدرك السلطان عبد الحميد بعمق دور ووظيفة الحركة الصهيونية العالمية على مختلف الأصعدة الاعلامية والاقتصادية والمالية وتحركاتها المتجددة في أوروبا والتي أخذت تسيطر على كل شيء حتى المؤسسات الاقتصادية الدولية الهامة ، إلّا أنه تغاضى عن نشاطها في السلطنة ولم يظهر لها عداته لخوفه منها ، ولادراكه مقدار سيطرتها على المحافل الماسونية واليهودية الغنية وتزداد غنى على غنى رغم الأجواء المعيشية القاسية التي ظهرت في البلاد وتزايد الفساد والأزمة والرشوة حيث عمّت السلطنة كلها بفضل الدور الذي مارسته الدول الامبريالية من الخارج والداخل ، لكن السلطان عبد الحميد أكد بأنه لن يتنازل عن القدس بشكل أو بآخر ، لذلك وقف السلطان عقبه في وجه المشاريع الصهيونية في فلسطين بفضل تأثير بعض الرجال الذين نصحوه بعدم الموافقة على ذلك المشروع إلّا أن اعطاء السلطان الوسام المجيدي لهرتزل يقطع الطريق على حقيقة عدم موافقته على المشروع الصهيوني إذ سرعان ماتتجلى الحقيقة بأن هرتزل جعل السلطان يدفع غالباً ثمن معاداته للمشروع الصهيوني الذي لم

يتمكن في البداية من اغراءه باغراءات واسعة ، إلى أن تمكن في النتيجة من نيل ماراده مع حركته وذلك من خلال نشاط الصهيونية في جمعية الاتحاد والترقي ، وتركيا الفتاة ، قبل ثورة ٢٣ تموز ١٩٠٨ وتمّ اعتقال السلطان ، وبعد أن تم تحريض قائد جيش سالونيك على القيام بالتمرد واحتلال العاصمة في نفس التاريخ تم اعتقال السلطان وجرى نفيه إلى سجون سالونيك ووضعه تحت رحمة قادة الاتحاد والترقي ، فسارعت كل من فرنسا وبريطانيا ، والدول الأوروبية الأخرى للاعتراف بالانقلابيين وخاصة ماتمّ نشره في فرنسا عن مضمون التقرير الذي قدمه الصحفي التركي الماسوني (رفيق فوزت) إلى حكومة فرنسا ، والذي وصف فيها أن الارهاب الذي مارسه السلطان واتخاذه قرار اعدام أخوه (توفيق) لمعارضته تصرفات وسياسة السلطان ذاته وبعد أن دافع ذلك الصحفي عن المشروع الصهيوني ودور هرتزل فيه* .

سمحت عملية الانقلاب التي قامت بها جمعية تركيا الفتاة عام ١٩٠٨ بمنح الحركة الصهيونية حرية التعبير السياسي والسماح لها بتشكيل الأحزاب وأثار العرب في البرلمان التركي موقفهم من الصهيونية ونشاطاتها الأخيرة ، أما الأوساط اليهودية والماسونية والصهيونية فقد أسست مكتباً خاصاً لها في الاستانة باسم (مكتب فلسطين للصهيونية العالمية) وفي مجلس المبعوثان العثماني طالب أحد مبعوثي القدس بفعالية قرارات منع الهجرة اليهودية فأعيد العمل بالقيود التي فرضتها حكومة السلطان عبد الحميد في أيلول ١٩٠٩[٢٥] وعندما جاءت حكومة الحرية والائتلاف إلى الحكم صيف ١٩١٢

---

* هاجم طاهر شبتاي السلطان محمد الرابع وأجبره هذا الأخير الى اعلان اسلامه ، أما أبرهام عارض سياسة عبد الحميد ودعاه الى تغيير الحرف العربي بالحرف اللاتيني له العديد من الكتب التاريخية المهمة .

تساهلت إلى درجة كبيرة جداً مع الحركة الصهيونية أكثر فأكثر بسبب حاجتها الماسة إلى تنظيم الأوضاع الاقتصادية والمالية والدعوة لسد الديون المترتبة على البلاد ودعم الصهيونية لها بالأموال لتدعيم خزينتها بعد حروبها مع روسيا واليونان وبلدان البلقان ، وعندما دلف الاتحاديون من جديد على الحكم مع مطلع عام /١٩١٣/ وازاء حاجتهم للمال ألغى الاتحاد والترقي التقييد الحاصل على الهجرة اليهودية في سورية وفلسطين ، واختفت القيود التي فرضت على نشاطات وتحركات الحركة اليهودية والصهيونية باختفاء السلطان عبد الحميد الذي تساهل وتردد في تساهله وتوج ذلك بتقديم الوسام المجيدي من الدرجة الأولى الممتازة لهرتزل[٢٧].

أما في أعقاب اعتقال السلطان استخدمت السلطات الجديدة ، الماسونية أعضاءها في الاتحاد والترقي من غلاة الدونها مثل (جاويد ، وقره صو ، وسالم) وكان محمود شوكت يقف ضد المحفل الماسوني ولايهاب الدعوات اليهودية فاصطدم بهم وأوعزوا إلى أنصارهم باغتياله وافتعلوا خلال ذلك مذبحة رهيبة ضد الأرمن والأتراك والعرب وزعموا أن الحادث من فعل أنصار عبد الحميد بينها تم قتل محمود شوكت قائد التمرد على السلطان بعد أن استغلوه في القضاء على حكم الباب العالي للسلطان عبد الحميد وقمعوا آلاف من الأرمن والأتراك والعرب قمعاً رهيباً واستخدموا كل أنواع الارهاب والقتل للسيطرة بقوة على الباب العالي والحكم ، ودعت دول أوروبا الحكم الجديد ، فازيلت قرارات السلطان التي دعا فيها إلى تقييد حركات الجاليات اليهودية والحركة الصهيونية العالمية وبناء

على قرارات المؤتمر الصهيوني الأول وضع محمد رشاد ١٩٠٩ السلطة التركية بين أيدي الحركة الصهيونية وبدأ بتنفيذ مخططاتها المتشابكة مع مخططات الاستعمار الأوروبي والأمريكي ، وكان اليهود يفترون الحملات المعادية للطوائف بعضها مع بعض كي يسودوا ويستأثروا بالسلطنة العثمانية ، وتمّ القضاء على الدور التركي المستقل وانهارت السلطنة وتمزقت أوصالها ، وكانت حينذاك الحركة اليهودية تمارس نشاطات تخريبية بهدف زيادة هجرة اليهود إلى فلسطين وبصدد الجرائم التي ارتكبتها الصهيونية بحق الشعوب الأخرى المنضوية تحت السلطنة يقول المؤرخ ايتلهان مايلي :

« ان الثورة التي انفجرت عام ١٩١٤ في كراويتا والجبل الأسود كانت من صنع اليهود وبتحريض مباشر منهم ، وموّلت من قبلهم بالتأكيد» .

كذلك فان الرأسمالي اليهودي (يعقوب شيف) مول تلك الثورة وأشرف على ادارتها وأرسل تعليمات لاشعال النار ، مع نصف مليون دولار لقادة الثورة واليهودي (افرام بنويا) ممول رئيس لها وقد قال عنه ايتلهان أنه وراء مجموعة كبيرة من الوشايات والدس التي قام بفعلها الجيش العثماني ضد الشعوب الأخرى .

أما الحركة الصهيونية وزعيمها هرتزل فقد عملوا على كسب ود الدولة القوية في العلاقات الدولية ، ففي كتابه (الدولة اليهودية) أجرى هرتزل اتصالات مع امبراطور ألمانيا قائلاً له :

(اننا بحاجة إلى حام لنا يصون هذه الدولة اليهودية في

فلسطين ونحن نرحب بالحماية الألمانية أكثر من أي حماية أخرى)[٢٨] .

لكن محاولات استمرار هرتزل في اقناع الألمان بذلك قد باءت بالفشل ولم تنجح ، بالرغم من أن مقر اللجنة التنفيذية للمؤتمر الصهيوني قد نقل من بولونيا إلى برلين عام ١٩١١ ، ولأسباب عديدة لم تبدي ألمانيا استعداداً بشأن اليهود ، بعد ذلك توجهت الأنظار إلى دور كلاً من بريطانيا وفرنسا ، ومع اهتمام فرنسا بفلسطين وسورية ومنافستها لبريطانيا أسرع لويد جورج إلى القول :

« ان الطريقة المثلى للوقوف أمام المطامع الصهيونية هو اقامة دولة يهودية في فلسطين »[٢٩].

إلّا أن الحركة الصهيونية العالمية ربطت مصالحها بشدّة مع المصالح الرأسمالية البريطانية وتشابكت حينذاك الأهداف المباشرة وغير المباشرة وأصدرت بريطانيا وعد بلفور في ٢ نوفمبر شباط ١٩١٧ ، واستطاعت في مؤتمر الصلح الذي أعقب الحرب العالمية أن تحصل على الانتداب على فلسطين وأن تشرع فعلياً في تنفيذ التآمر الكبير مع الحركة الصهيونية الرامي إلى تهويد فلسطين والأراضي المقدسة ، وهنا لابد من القول أن بريطانيا استخدمت كل صلاحياتها كدولة كبرى حاكمة نصف العالم والتي لاتشرق عنها الشمس ، وقوية ، في تسهيل اقامة وطن قومي ليهود العالم بفلسطين بعد الضغط على الباب العالي واستخدام كل الأساليب لايقاف أي معارضة بعدم الهجرة اليهودية ، والوقوف بوجه المعارضة العربية ، بل والتآمر عليها لتنفيذ مخططات الشركات الرأسمالية البريطانية مع الشركات اليهودية

وبالأخص شركة الاستيطان الكبرى التي كان يرأسها هرتزل نفسه بدعم واضح من آل روتشيلد أيضاً .

في تلك الأثناء اختلف الصهاينة فيما بينهم على استيطان فلسطين ، وانحاز كل منهم إلى احدى القيادتين أو التيارين بعد خلاف شديد مع هرتزل ، الذي تمحور حول الكيفية التي يجب أن يتم فيها استيطان فلسطين :

آ - تيار الصهيونية السياسية : نادى هذا التيار أولاً وقبل كل شيء بضرورة حصول الحركة الصهيونية على ضمانات سياسية واعتراف علني من قبل دول المجموعة الأوروبية بسيادة المنظمة الصهيونية العالمية على فلسطين وجوارها وبعد ذلك تجري عملية نقل اليهود من بلدانهم الأصلية باشراف وحماية تلك الدول نفسها .

ب - تيار الصهيونية العملية : نادى هذا التيار وطالب بتشجيع الاستيطان الفعلي في فلسطين عن طريق أخذ تعهدات من السلطان عبد الحميد ، والسعي لاستيطان فلسطين مهما كانت الظروف حتى وان أدى ذلك إلى الدخول بالدين الاسلامي ثم السعي في الوقت نفسه للحصول على ضمانات والاعتراف الدولي والضغط على السلطان عبد الحميد للموافقة على استيطان فلسطين ، وفي تلك الأثناء حاول هرتزل اقناع آل روتشيلد بانشاء الشركة الشرقية العالمية القومية التي سيطر عليها « الاستعمار اليهودي » وللضغط على السلطان ، علماً أنه مع تحركات هرتزل المكوكية إلى الباب العالي ربطت عدة

شخصيات بهذه الشركـة فتم التخـطيط للقضاء على السلطان العثـماني ونجحت بعض المقـولات والأهـداف ونضجت معها حملات تجميع رؤوس الأموال والسعي لاستثمار بعضها في تركيا لاستخــراج المـواد الأولية ، والاعتـماد على المصـارف والبنـوك الـبريطانية والفـرنسية والألمـانية والأمريكية كل على حدا وتارة اللعب على كل الحبال داعين بريطانيا لحماية الدولة اليهودية عبر زيادة استثـماراتها مع الولايات المتحدة في تركيا ، ودعوا فرنسا أيضـاً إلى ذلك فاستخدم الصهاينة البارون روتشيلد اليهودي الفـرنسي لدعم نشـاطـاتهم ولتلقي الدعم المستمر فيه، وقام جوزين شميرلين الذي تعاون مع آل روتشيلدبالاستثمارمناطق حيوية في الأراضي العثمانية مثل مصر وليبيا وبرزخ السويس ، وبـذلـك تكللت مسـاعي هرتزل بالنجاح وبقوة ، ساعده في ذلك عاملين أساسيين :

١ً ـ نيل دعم مادي ومعنـوي من الـدول الاستعمارية الكبرى بعد الضعف الملمـوس للسلطنـة العثمانية ومصلحة جميع الأطراف بالقضـاء عليهـا واحتـلال جميع الأراضي والبلدان التي كانت تسيطر عليها لمدة أربعة قرون متتالية .

٢ً ـ هشاشة وضعف أوضاعها الداخلية وتآكلها من الداخل حيث فرضت على السلطنة مجموعة كبيرة من الديون الخارجية حاول هرتزل والحركة الصهيونية استنزاف الباب العالي مقابل الموافقة رسمياً على استيطان الأراضي المقـدسـة وبـذلك سعى هرتزل بقـوة إلى ضرب السلطنة العثمانية والتآمر عليها وعلى السلطان

من الداخل بمساندة الرأسمال اليهودي والحركة اليهودية ، والماسونية التي نشطت بقوة بعد اعتقال السلطان عبد الحميد ، ولجعل المسألة اليهودية مسألة سياسية عالية بدأ هرتزل والمؤتمر الصهيوني العالمي بأخذ ضمانات دولية من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة لاقامة الكيان الصهيوني وكان لسان حاله دائماً أنه ليس هنالك من حل إلاّ باقامة دولة يهودية(٣٠) .

هكذا تكاثفت مطامع ومصالح الدول الاستعمارية الأوروبية مع الحركة الصهيونية العالمية والتخطيط المشترك لاحتلال قناة السويس وفلسطين والأراضي العربية القريبة وبقي وعد بلفور الحجة الرئيسة التي يمكن أن تستند اليها المطامع البريطانية ـ اليهودية المشتركة خلال المساومة مع حركة هرتزل العالمية(٣١) وقد سهل مهمة الانجليز انحياز المجلس التنفيذي الصهيوني إلى جانب الحماية البريطانية على فلسطين والوقوف ضد الحماية الفرنسية(٣٢) .

لاحظنا كيف عملت الأوساط اليهودية الرأسمالية على ضرب السلطنة العثمانية بالاشتراك مع الرأسمالية العالمية لتأمين تصوراتها التوراتية وبالتالي توسيع نشاطات الاستثمارات الرأسمالية إلى أبعد الحدود في السلطنة ، **وبعد أن فعلوا ماأرادوه** وخططوا له كانت الحرب العالمية الأولى تشارف على الانتهاء تقريباً وهي **حرب كارثية فظيعة** انهارت خلالها السلطنة العثمانية تماماً وتقاسمت الدول الاستعمارية البلدان التي سيطرت عليها أما البريطانيين ضاعفوا من الوعود للصهيونية ونتيجة للمواقف الناشئة بين الدول والتنافس فيما بينها في الحرب وتباين المصالح ووجهات النظر اتفقت الدول رغم ذلك على

توقيع معاهدة سايكس بيكو ١٩١٦ لادارة دولية مشتركة للتركة العثمانية أعطي من خلاله **فعلاً** وطناً قومياً لليهودية العالمية لكي يكون هذا الوطن رأس جسر للامبريالية العالمية الناشطة باتجاه الشرق الأوسط وآسيا وافريقيا إلاّ أن ثورة اكتوبر فيما بعد فضحت دور السلطنة العثمانية والدول الاستعمارية مثل بريطانيا وفرنسا في تقسيم سورية الطبيعية إلى مناطق وأقاليم وطوائف لتسهيل اقامة الوطن القومي اليهودي من جهة ولتفكيك وحدة هذه الشعوب ضدهم من جهة ثانية ولضرب أي تطلع في المستقبل المنظور أو غير المنظور لأي وحدة لسورية الطبيعية أو للوطن العربي الكبير من جهة ثالثة ، ولكي تستطيع الحركة الصهيونية البدء في مخططاتها الاستيطانية في أجواء اقليمية تسمح بذلك وتساندها في ذلك النمو المضطرد لدور الدول الاستعمارية التي لها مصلحة أكيدة في احياء المشروع الصهيوني كقاعدة وبؤرة يمكن الاستناد عليها في المستقبل .

* * *

الفصل الثاني
تشكيل الحكومة الوطنية (الجمهورية الأولى)
بزعامة مصطفى كمال اتاتورك

تتسم عملية القاء الأضواء على دور الحركة الصهيونية مع حزب الطاشناق في القيام بمهام خطيرة ضدّ ثورة اكتوبر بأهمية خاصة فالسياق التاريخي الموضوعي لدورهما الرجعي يؤكد حرصهما الشديد على العمل سوية منذ ذلك الوقت حتى الآن ، للقيام في ضرب تطلعات وآمال حركة التحرر في البلقان والشرق الأوسط بمساندة الامبريالية العالمية منذ بداية القرن الحالي مروراً باغتصاب فلسطين وقيام الكيان الصهيوني ولم تقتصر المسألة على عموميات واسعة بل تتحدد بأكثر من ذلك في الخصوصيات ، فبعد أن انكشفت آلاعيب وممارسات اليهود والدونما والصهاينة في تركيا أيام السلطان عبد الحميد وماقبله ، فان الطوائف الاسلامية والمسيحية والأرمن لم تسلم من تآمراتهم ، ولقد كان للصهاينة دوراً كبيراً على ضرب أي دور مخلص أو دور وطني للأتراك والفئات الأخرى ضد تغلغل الاحتكارات والرأسمال الاحتكاري الذي بدأ ينشط بقصد محاصرة النظام الاشتراكي والقضاء عليه . باستخدام تركيا لهذا الغرض[1].

لكن حتى قبـل ذلـك سقط بسـمارك فريسـة للنفوذ الرأسمالي اليهـودي بعد أن شكل حالة مهمة في معاداة الصهيونية لفترة طويلة وكـان اللورد (Disraeli Lord) بالاكسفيلد ديزرائيلي (Becasfild)) [٢] رئيس وزراء بريطانيا كيهـودياً متحمسـاً وابن الكـاتب اليهـودي الشهير بتطرفه للعنصرية والعرق اليهودي حيث نشرت « ميلخور دي سالم » سفـير فرنسـا لدى « شتيوارت شارلـز » الأمور المتعلقة بخفايا ثورة كرومـويل وكان كل من ممثلا فرنسا والنمسا يهوديين وحتى ممثل تركيا كان يهودياً من الـدونـما (محمد علي باشا) وشهرته (محمد علي باشـا الـدونـما) وأن ممثل إيطاليا فكان كورتي (Lecomtelovti) غير يهودياً ، شارك هؤلاء جميعـاً في مؤتمر برلين ١٣/٦/١٩٧٨ حيث تم وضـع في هذا المؤتمـر الأسس الكفيلة بدعم الأقليات المسيحية في السلطنـة العثمانية التي تعمل جنباً إلى جنب مع نشاطات الصهيونية والطاشناق على السواء .

أما قضية الأرمن الأساسية فقد استطاع الطاشناق بالتعاون مع الصهيونية ضربهـا بعرض الحائط وحاصروها كل المحاصرة ، بهدف أن يحل اليهود والدونما محلهم في الميادين المالية والاقتصادية كان ذلك هدفهم الأسـاسي ، والأمـر البارز الآن هو أن هؤلاء الذين سيطروا على الاقتصـاد الـتركي منذ هذا التاريخ لايزالون يمارسون نشاطاتهم بأوسـع وأشمـل إلى يومنا هذا ، وقد تحولت نشاطاتهم إلى مخططات « سرية » على أسـاس من الـدعم الملمـوس للمشروع الصهيوني وتطبيق (وعد بلفور) والوقوف ضد أية معارضة تقف ضدّه في الباب العالي وضمن الأراضي المسيطر عليها .

إلّا أنه بعد انتصار النظام الاشتراكي عام ١٩١٧ لم تجد الحركة الصهيونية وحزب الطاشناق فرصة إلّا واستغلوها لمعاداته لأنه كشف حقائق التآمر الاستعماري على شعوب عديدة ، وسعياً منهما وقفا موقفاً معادياً لثورة أكتوبر وبدأ كل منهما وبشكل منفصل أو مشترك بتنظيم عناصر الثورة المضادة من جميع المدن والأماكن وشكلت تركيا هنا بؤرة معادية للثورة الاشتراكية حينذاك من الاتجاه الجنوبي للاتحاد السوفييتي بعد أن نظم العديد من أعداء الثورة من البورجوازيين وملاكي العقارات والأعداء الطبقيين للثورة واعتماداً على يهود الدونما نظمت الحركة الصهيونية حملة واسعة في تركيا للتشهير بالنظام الاشتراكي وبأفكاره وكان في الجيش الأبيض المعادي للثورة العديد من عناصر الطاشناق واليهود المرتبطين مع آلة الدعاية الامبريالية الخارجية ، إلّا أنه جاءت ظروف جديدة لتغيير طبيعة العلاقات الدولية القائمة على الاستغلال والنهب والسيطرة الاستعمارية إلى علاقات جديدة وقلبت المفاهيم رأساً على عقب بشكل واضح الأمر الذي لم يروق للحلف الاستعماري والدول الرأسمالية والشركات الاحتكارية التي وجدت في الثورة الاشتراكية عقبة كبيرة أمامها وبالأخص في سعيها عن طريق تركيا استغلال حقول النفط في (باكو) وابقاء السيطرة الاستعمارية فيها .

كانت روسيا القيصرية تدخل في الحرب ضد التحالف الرباعي الذي شكلت السلطنة العثمانية جزءاً منه ، إلّا أن البلاشفة بوصولهم إلى السلطة السياسية استطاعوا من تغيير قوانين الحياة ضمن العلاقات الدولية وشكل النظام الاشتراكي نقلة بوجه النشاط

الاستعماري والاحتكاري حيث كان العالم الرأسمالي منقسماً إلى كتلتين متخاصمتين من الدول الرأسمالية تشتبكان في صراع تناحري مع بعضهما البعض ، وإذا كان النظام الاشتراكي يسعى بجلاء فعلاً لانهاء حالة الحرب كان هنالك من يؤجج النار تحت رمادها من جديد ، وكانت الصهيونية والبوند في بولونيا يسّعرون نيرانها حيث الطبقات الاجتماعية السائدة في الدول الرأسمالية تجد مصالحها في الحرب عملاء الامبريالية بجدون مصالحهم في استمرار الحرب الاستعمارية ، وباعتبار أن التناقض كان سائداً بين الدول الرأسمالية فان النظام انتصر واستعر في مقاومته للتدخلات الخارجية التي نظمتها الدول الامبريالية وفي ٨ شباط ١٩١٧ أقر مؤتمر السوفييتات الثاني لعامة روسيا لمرسوم السلام الذي اقترحه زعيم الثورة وصار شعاراً وسياسة رسمية للدولة السوفييتية الجديدة ، حيث جاء فيه :

« على جميع الشعوب المتحاربة وحكوماتها وحتى على الحكومة التركية الشروع فوراً في اجراء محادثات من أجل السلام ، حيث كانت تركيا تمارس نشاطاتها العدوانية ضدّ روسيا بالاشتراك مع ألمانيا »[٣] .

خاطب النظام الاشتراكي أنصاره لتغيير لوحة الصراع السياسي ضمن حدود واسعة من الأراضي المترامية من مختلف الأجناس والقوميات للتضامن معه وعدم السماح للحركات المعادية بممارسة نشاطات معادية والتعاون من أجل حمايته ، وقد شكل تروتسكي*[٤] والبوند والطاشناق والحركة الصهيونية حركة واسعة مناهضة ومعادية للنظام وبدأوا يضعون الأسافين في طريقه تحت شعار أنه لن ينتصر

وسيفشـل ، إلّا أنـه تبين فيها بعد أن النظام استمر وأن تلك القوى والشخصيات المعادية كانوا مرتبطين مع المشاريع الامبريالية البريطانية الموجهـة ضد ثورة أكتـوبـر خاصـة وأن قيادة النظام عارضت بشدة الطموحات الانقسامية لما يسمى بـ (الحركة العمالية اليهودية المستقلة للشعب اليهـودي) ونقـدوا بشـدة الحملات الصهيونية المتحالفة مع الامبريالية ومشاريعها الاستعمارية التي استهدفت أساساً السيطرة على العـالم ، بعد أن ظهرت للوجود سياسة خارجية جديدة قادها النظام الجـديد ، أمـا الممثلين العسكريين في روسيا للدول المتحالفة فكانوا يحرضـون على القيام بعصيان شامل ، وكانت تركيا تمثل بالنسبة لهم محطة رئيسية في تآمـراتهم وتتجمـع فيهـا أوكـار الثـورة المعـادية والتحضيرات المادية والمعنوية للجيش الأبيض وفلوله ضدّ النظام السوفييتي .

مع كل ذلـك فشلت منـاورات بريطانيا والولايات المتحدة في تنفيذ المخـططات العسكرية المعادية وكان الرأسماليين اليهود يدفعون أموالاً طائلة للقضاء على النظام الاشتراكي وأنظمة الشعوب الأخرى في البلقان والبلدان العربية التي كانت معادية معاداة مطلقة للحركة الصهيونية أمـا ونستـون تشرشـل وزير الشؤون العامة للقيادة البرية والطيران الحربي البريطاني أكد في عام ١٩٢٠ مايلي :

« ان الصهيونية هي رد عمـلي على ثورة أكتـوبـر والشيوعية العـالمية ، حيث قامت اليابـان والـولايات المتحـدة بالاشـتراك مع بريطانيا وفـرنسـا بالتحضـير بجيش مشـترك للتـدخل بقوة ضد ثورة أكتوبر فضلاً عن مساندة الجيش الأبيض والعناصر المضادة ومساندتها

بكل الامكانيات . . . »[٥] .

فجوهر الصهيونية كما توضح معنا أنه موالي تماماً للامبريالية ويعتبر أداتها الطيعة في تنفيذ المشاريع الاستعمارية إذ ليست الصهيونية حركة تحرر كما يدعي قادتها فهي معادية بشدة لحركات التحرر الاجتماعي والوطني بل وتحاربها بقوة ومعارضة لها ، وقد كانت الصهيونية بدءاً من نشاط هرتزل ومروراً ببن غوريون مؤسسي الصهيونية والكيان الصهيوني جميعهم غير مؤمنين إلّا بأهداف الصهيونية المندمجة بمشاريع الاحتكارات لانشاء بؤرة استعمارية تخدم التطلعات الاستراتيجية لهم في فلسطين .

جاء في مذكرة الأركان العامة البريطانية ٩ كانون الأول ١٩١٨ مايلي :

« ان اقامة دولة يهودية صدامية في فلسطين ، ورغم كونها ضعيفة ستكون في البداية كذلك ، إلّا أنها مهمة وضرورية لبريطانيا من الناحية الاستراتيجية لمقاومة أفكار النظام الاشتراكي ومؤثراته على تركيا والشرق الأوسط . . . »[٦] .

إلّا أن الدبلوماسية السوفييتية الجديدة ألحقت الهزيمة بالحكومات الامبريالية وعلى هذا الأساس أرسل لويد جورج الدبلوماسي الأمريكي (بوليت) إلى موسكو ١٩١٩/٣/٨ وكانت مهمته استطلاع فيما إذا كان النظام الاشتراكي سيعقد صلحاً مع الحرس الأبيض المدعوم من بريطانيا والولايات المتحدة والحركة الصهيونية العالمية ، والطاشناق صنائع الامبريالية،والهدف من ذلك ابقاء الوضع على ماهو عليه لتشكيل حكومة مضادة للبلشفيك

مشكّلة من (كولتشاك) مدعومة من المحور المنظم في مؤتمر باريس مركز قيادة المواجهة للنظام الجديد آنذاك ، وفي (ريغا) عقد مؤتمر مجموعة كبيرة من ممثلي العناصر المضادة في جيش الحرس الأبيض لاقرار الهجوم على الحكومة السوفيتية ١٩١٩/٩/١٥ دعماً (لدينكيس) وجماعاته وكانت العناصر الصهيونية تلعب دوراً مميزاً ومحبطاً للنظام الاشتراكي .

كان ذلك منافياً للمطالب القومية للصهيونية التي طالبت بأن الطائفة اليهودية هي عبارة عن جماعة قومية كاطار لطوق فكري قسري رفضت الاندماج في مجتمعاتها الأصلية التي تعيش فيها ، كان النظام الاشتراكي قد حاصر وحارب هذه الأفكار لصالح الحل التحرري ، فطوقت الأفكار الصهيونية على أنها أفكار معادية تماماً للأفكار الأساسية للمسألة القومية .

لكن كان منظروا الحركة الصهيونية والطورانية التركية ، والطاشناق يوجهون عدائهم المشترك بقوة إلى النظام الاشتراكي ، ولهذا تحدث فيشبرج في أحد كتبه قائلاً :

«ليس التجانس اليهودي العرقي إلاّ اسطورة فقد كانت اليهودية وماتزال ديناً وليست قومية »[٩] .

إلاّ أن القوميين العنصريين في تطورهم ضمن اطار الفكر الطوراني التركي أو ضمن اطار الحركة الصهيونية لا يدلل على أي شيء موضوعي أو تاريخي سوى طموحات بعيدة التصورات ، وأمر لايمكن فهمه مطلقاً إلاّ من وجهة النظر الديني للمسألة لأنه يجعل وصول الطورانية التركية إلى هتلرية عصرية أو جعل الدين اليهودي

صورة طبق الأصل عن دعوة النازية الهتلرية للعرق المطلق الخالص ، وذلــك أمـراً مستحيلاً(١٠) لأن اليهـودية منتشرة في كل أنحـاء العـالم وتنتمي لمختلف القوميات وليست منشداً لليهودية العالمية .

لقــد استخــدمت ألمـانيا النـازية فيها بعـد وفي الثـلاثينـات بالتحديد ، العديد من فروع منظمات الحركة « **الهاغاناه** » « والوكالة اليهــودية » كطابــور خامس وآلـة دعـائية لها بينـما قدمت الشبكـة الصهيونية العالمية المتشعبة جداً خدماتها غير مرة للمخابرات الألمانية النازية وقدمت لها خدمات جلى(١١) .

أمـا المبـاديء الأسـاسية الجديدة للسياسة الخارجية السوفيتية كانت احدى الأهداف التي شنّ ضدّها الصهاينة والنازيين هجومهم الشـديد عليها لأنها كانت لا ترحم تطرفهم وفاشيتهم والتي اعتمده النـظام الاشتراكي حيال القوميات التي أعلنت عنها الدولة السوفيتية حينـذاك ولم تجد في الصهيونية والنزعة الشوفينية لليهود إلّا ضرباً من الأضـاليل ، إلّا أنـه وبنـاء على ذلـك وجدت لها مبعثاً ودوراً ايجابياً وصـدى هامـاً لدى الشعب التركي فخلال الأشهر الأولى التي تلت قيام النـظام الاشـتراكي تمكنت دول الحلفـاء من زج تركيا في أتـون الصراع مع ألمانيا ضدّه رغم أنهما كانتا مشتركتان في **معاهدة بريست** ، وبسبب من تأثـير (تركيا الفتاة) على سياسة البلاد وتحقيقاً لمتطلبات وأهداف الصهيونية العالمية وبريطانيا « . . . . .

خرقت الأوسـاط الحاكمة في تركيا المعاهدة وضربت نصوصها بعـرض الحـائط عنـدمـا قامت بتنـظيم الثـورة المضـادة المسلحة في

القفقاس وبشعت أشد البشاعة وقتلت بشدة ودون رحمة العناصر الموالية للثورة ، إذ كانت تعرف الحكومة التركية بمعاداتها الشديدة للقوميات الأخرى داخل وخارج الأناضول وساعدت العنصرية التركية على تفخيم الأسس الشوفينية للطورانية التركية الاستبدادية لضم الأراضي والسكان والشعوب المجاورة للدولة التركية حيث أشيع في الصحف التركية حينها نوعاً من العنصرية المعتمدة على وصف أمجاد الطورانية وكأنها « شعب الله المختار » وأخذت تنمي عند الأتراك العنصرية التركية[١٢] .

لكن تركيا لم تتحمل مصائر ومحن الحرب وكانت الدول الأخرى في الحلف الرباعي تدرك جميعها وضع تركيا وفي ١٩١٨/١٠/٣٠ اضطرت تركيا على توقيع اتفاقية هدنة (مودروس) (بحر ايجة) تحت ضغط الدول الاستعمارية ، واحتل المنتصرون الحصون والقلاع والطرق الرئيسية على طول الدردنيل والبوسفور وأرغمت تركيا على فتح المضايق للسفن العسكرية التابعة لدول الوفاق واحتلوا اسطنبول وصارت البلاد تحت رحمتهم .

أما اتفاقية هدنة مودروس كانت ايذاناً بتقسيم تركيا فطالبت دول الحلفاء بتسريح الجيش التركي فوراً واقامة نقاط مراقبة على جميع المؤسسات الرسمية بما فيها البريد والبرق والسكك الحديدية لكن في مؤتمر باريس لقيادة الثورة المضادة الأنف الذكر طالب الرئيس ويلسون الأمريكي ، باحتلال وضم العديد من المناطق التركية ، كما نوقشت مسائل عديدة من ضمنها تنفيذ الانتداب الأمريكي على اسطنبول (القسطنطينية) ومنطقة المضايق ، وصارت تركيا بفعل

ذلك كله مهددة بشكل أساسي بضرب استقلالها الوطني تحت مطرقة بريطانيا والولايات المتحدة وسندان الثورة المضادة التي دعمتها تركيا بكل جهودها ضدّ النظام الاشتراكي فتآمرت عليها أيضاً .

لكن النظام الاشتراكي وبتأثير دوره الكبير ألحقت بالخصم الهزائم الحربية المتلاحقة التي حققها فبدأت تركيا تتحرك ضمن حركة التحرر الوطني ضد الرجعية الداخلية والخارجية وبدأت محاولاتها للنهوض وبوصفها جمهورية مستقلة وقد ترأس هذه الحركة شاب وضابط متحمس يدعى « مصطفى كمال باشا » وقد وجدت هذه الحركة في البداية روسيا السوفيتية دولة حليفة وصديقة لأفكار ونوازع الجمهوريين الأتراك الجدد . خاصة وأن الانجليز فشلوا في احتلال مورمانسك ومضايقة الجمهوريين من جهة ، وجابهت الثورة القوات اليابانية التي حاولت غزو (فلاديفستوك) في شرق الاتحاد السوفييتي من جهة ثانية ، ودخلت كذلك قوات كبيرة من مشاة البحرية الأمريكية مع قوات من الانجليز آسيا الوسطى لما وراء القوقاز واحتلت ألمانيا الامبراطورية « اوكرانيا » و« بيلي روسيا » روسيا البيضاء وتمركزت الثورة المضادة بين تركيا وآسيا الوسطى(١٣) وحاصرت روسيا من كل الأطراف الأربع .

في هذا الأثناء كانت فلول المعارضين للنظام الاشتراكي ينسحبون شيئاً فشيئاً ، وخلال ذلك توجه مفوض الشعب للشؤون الخارجية للحكومة السوفيتية ١٣/٩/١٩١٩ ، بنداء إلى الشعب في تركيا يناشدهم فيه بالوقوف صفاً واحداً ضد أعداء تركيا والشعب

التركي وضد أعداء الشعب السوفييتي وجاء في هذه الوثيقة الهامة مايلي :

« أيها الرفاق عمال وفلاحو تركيا :

ان أخوتكم العمال والفلاحين الروس الذين قاسوا كل فضيحة هؤلاء الضواري مصاصي الدماء الداخليين الذين باعوا روسيا للضواري الخارجيين اللصوص الأوروبيين وقد قرروا أخذ زمام الحكم في أيديهم ضدّ الثورة المضادة »[١٤] .

كذلك أكد النداء أن السوفييت يناضلون بقوة وشجاعة لمدة عامين على التوالي من أجل سيادة نظامهم ، مؤكدين على أنه باستمرار النظام وتصلب عوده بتحالفه مع الأحرار الأتراك يتم القضاء على أعداء الشعبين على أساس من توحيد الأحرار في العالم كله بوجه الرأسمالية والامبريالية وأدواتهم .

* تشكيل الحكومة الوطنية (الجمهورية الأولى) بزعامة مصطفى كمال أتاتورك :

مع تشكيل الحكومة الوطنية المؤقتة في تركيا بزعامة « مصطفى كمال أتاتورك » في نيسان ١٩٢٠ وقف هذا الضابط ضد سلطة السلطان العثماني الذي تآمر على مصلحة الشعب التركي ولم يكتف بذلك بل وبدأ يشارك في التآمر على الثورة البلشفية واتخذ مصطفى كمال لنفسه مع جماعته طريقاً سياسياً واقتصادياً ودعائياً خاصاً بهم[٥]، ونقل عاصمة البلاد من اسطنبول (القسطنطينية) إلى أنقرة ، بعد ادراكه أن السلطان أضعف من أن يقوم بمقاومة التآمر الاستعماري على تقسيم تركيا بعكس ماقاله « ساجلاركيدر » من أن تركيا لم تقع تحت نير الاستعمار الأوروبي أبداً[٦] .

إذ اتسمت فترة الحرب العالمية الأولى بآثارها الاقتصادية المدمرة على تركيا فان ما شهدته خلال الحرب من تضخم واستخدام بطاقات التخزين في توزيع السلع الأساسية أدى ذلك كله إلى خلق أوضاع مؤاتية ليس للاثراء السريع والتراكم الكبير للرأسمال فحسب بل ولتدخل الدول الاستعمارية في شؤون البلاد الداخلية نظراً لعدم امكانياتها تسديد ديونها، وخاصة بعد زيادة سيطرة اليهود والدونما على مختلف ميادين الحياة الاقتصادية فلم يجري القضاء على الرأسمال الأجنبي ـ الغربي في البلاد بل تم القضاء على المصالح المالية والاقتصادية التي شكلها اليونانيين والأرمن الذين كانوا يشكلون طرفاً هاماً ومنافساً من البورجوازية المتعاملة مع الدول الامبريالية حينذاك ونشطت بالتالي الاستثمارات الأجنبية .

استلهمت الاصلاحات الاقتصادية في تركيا إلى حدود بعيدة أحد زعماء البلاد قرب نهاية السلطنة وبداية الجمهورية وهو ضياء كوك ألب ، ونادى بأن تسترشد تركيا بالنظام الغربي في مجال انشاء المؤسسات الاقتصادية والمالية فضلاً عن المؤسسات الثقافية وقد دعا إلى وحدة الأمة على أسس من بناء دولة قوية على الأسس الطورانية(١٧).

كذلك سعى اتاتورك إلى انهاء مخلفات سلالة آل عثمان بعد أن أنهت الحرب العالمية الأولى السلطنة العثمانية واستثمر قوته ونشاطه في الجيش للسيطرة على أوضاع البلاد ، وواجه اليونانيين الذين هاجموا تركيا عام **١٩١٩** مدعومين من الدول الغربية ، إلّا أنه لم يستطع الغاء الامتيازات الأجنبية وتصفية الديون الخارجية(١٨) بالكامل .

لقد عرف اتاتورك مقدار تبعية السلطان للدول الغربية فوقع ممثلوا السلطان في آب **١٩٢٠** اتفاقية معاهدة سيفر لتسوية أوضاع البلدان التابعة لتركيا وكانت جائرة ووقع هذه المعاهدة أشخاص لا يمثلون الشعب وبينما كان مصطفى كمال اتاتورك يخوض صراعاً ضد اليونانيين كان يعد العدة لبناء الجمهورية وفق خطط محددة فنجح الأتراك برد الغزو اليوناني وبانتصارهم في الميدان ، وقبل اعتراف روسيا البلشفية بحكومة مصطفى كمال كانت لائحة الأوضاع الداخلية تؤكد حسب بعض التقديرات والمصادر الغربية أن نصيب الرأسمال التركي في الشركات الأجنبية داخل البلاد يشكل نسبة ضئيلة جداً **٣٪** عام **٩٠٨** و**٣٨٪** عام **١٩١٨ /١٩١٩** نظراً للعدد الكبير من الشركات البريطانة والفرنسية والأمريكية التي دخلت

البـلاد وأقـامت استثـمارات خاصة بها خلال الحرب أو بعدها بقليل وكـانت هذه الشركـات هي المستفيد الأسـاسي والوحيد من تشكيل الدول التركية الحديثة عام **١٩٢٠ ـ ١٩٢٣**(١٩) .

إلّا أن تركيا بسبب كونها بلداً زراعياً وشبه اقطاعي ، أسرعت بعض الوجوه التركية فيه لجعله بلداً زراعياً وصناعياً متطوراً ، بعد أن شكلت الـرأسـمالية النـاشـطة نوعـاً من التطور في بداية العشرينات والثلاثينات وحتى الأربعينات فبدأت تسيطر على الزراعة ، فرغم أن النتائج العملية لهذه الاجراءات التي بدأ يتخذها البنك الزراعي في أنقرة وفق نظمه الجديدة والمباديء الموجهة لعمله بينها كانت القروض تمنح بـ **٣٠**٪ من الرأسمال المدفوع فانها وصلت في عهد الجمهوريين إلى **١٠٠**٪ باستخـدام الـودائـع وغيرها ، وفيما بين **١٩٢٣ ـ ١٩٣٢** زادت المساحة الأراضي المزروعة بنسبة **٥٨**٪ تقريباً وزاد عدد السكان بين **٢٥**٪ إلى **٢٨**٪ ومـع حلول عام **١٩٣٠** كان بمـقـدور تركـيا الاستغناء عن استيراد القمح وأصبحت مصدرة للحبوب(٢٠) .

لقـد استـطاعت الفئـات المسيطرة على الاقتصـاد التركي من تحويل المجتمع التركي إلى اقتصاد حكومي ، فخلال السنوات الأولى للجمهـورية كانت البورجوازية ضعيفة جداً واتبعت الحكومة برئاسة الجنـرال مصـطفى كمال أتـاتورك سياسة وطنية بهدف تحسين أوضاع البـلاد . وأعلنت فيما بعد عن استعداد تركيا لقبول معونة اقتصادية ومـالية من دون المسـاس باستقـلال البـلاد الاقتصادي والسياسي ، وأقرت الجمعية الوطنية اقرار القانون الدستوري في **٢٠** كانون الثاني **١٩٢١** في فترة مابـين اجتـاعات مؤتمر لوزان **١٩٢٣** ، وانعقاد المؤتمر

الاقتصادي الخاص في أزمير شباط **١٩٢٣** الذي أرسى مبادىء سياسة تركيا الاقتصادية وفي قرارات المؤتمر جرى التركيز على وجود الموارد الطبيعية والتسهيلات للتنمية الاقتصادية في تركيا ، والاستفادة السريعة من الأفكار والأساليب التقدمية والعلمية لتنمية اقتصاد بدائي والانتاج السلعي المحلي فأعلنت تركيا بالسماح بدخول الرأسمال الأجنبي[٢١] .

لكن كان لنقص التراكم الرأسمالي الكافي للحكومة وللبلاد تأثيرات كبيرة أدت إلى أزمة **١٩٢٩** ، وتراكمت عوامل أجبرت الحكومة على اشراك الرأسمال الغربي في اقتصاد البلاد ونتيجة لذلك نشط الرأسمال وحاولت شركة ادميرال تشستر الأمريكية للتنقيب على النفط من استثمار البترول فلم تستطع[٢٢] إلى أن تم ضم الموصل في نطاق أعمال الشركة حيث ادعت تركيا أن الموصل جزء من تركيا .

أما بالنسبة للبنوك فقد زاد رأسمالها في تركيا الجمهورية وعاشت جنباً إلى جنب مع رأسمالية الدولة والرأسمال الأجنبي ، حيث لعبت أدواراً هامة في عملية تغلغل الاحتكارات ومع حلول عام **١٩٢٤** كانت المخلفات الرئيسية للسلطنة القديمة قد صيغت تماماً وانتهت وفي عام **١٩٢٢** ألغيت السلطنة ووظيفة (شيخ الاسلام) وفي عام **١٩٢٣** تشرين الأول أعلنت الجمهورية ، وفي آذار **١٩٢٤** ألغيت الخلافة وصفيت وزارة الشريعة الاسلامية والأوقاف ، وفي **٢٠** نيسان **١٩٢٤ تم التصديق على الدستور الجمهوري العلماني والغاء الزي واللباس** العربي والاسلامي وادخل الزي الأوروبي ومنحت النساء حقوقاً جديدة وأدخلت الحروف اللاتينية واستبعدت الحروف العربية وألغي

الاسلام كدين للدولة عام ١٩٢٨ وتمّ تأسيس حزب البعث ١٩٢٣ الذي ظل يحكم البلاد حتى عام ١٩٥٠ تحت ظل حكم حزب واحد[٢٤] .

خلال ذلك لعب الرأسمال الصهيوني بالتعاون مع الشركات الاحتكارية داخل تركيا منذ البداية دوراً هاماً ومميزاً في انشاء الشركات والصناعات والسيطرة على البنوك وتم ايجاد صناعات ضخمة على أساسها جرى فيما بعد دمج رأسمال البنوك المستثمر مع رأسمال الصناعات الخاصة حيث كانت (١٣) عائلة تركية يتمتعون بامتيازات احتكارية لا يتمتع بها غيرهم في طول البلاد وعرضها[٢٥]

لكن كنتيجة أساسية لهجرة الأرمن واليونانيين أسرع الدونما ، والدولة للاستيلاء على المناطق التجارية والصناعية وبدأ نظام جديد من اصلاح الأراضي الهادف إلى توزيع الأراضي والقاء بقايا رموز الاقطاع وخصصت الأراضي المتروكة وأراضي الوقف وجزء من الضياع والقرى المهجورة الكبيرة وخصص لذلك تبادل السكان بين تركيا واليونان وهجرة مجموعة كبيرة من اليهود من المدن إلى هذه المناطق لجعلها مستوطنات لهم[٢٦] . انسحب الأجانب مؤقتاً من المشاركة في حياة البلاد الاقتصادية بما في ذلك عمليات تمويل البنوك[٢٧] إلى حد بعيد من النشاطات التجارية والمالية (الأرمن ، اليهود ، اليونانيون) وشجعت الحكومة انشاء أدوات جديدة لتمويل المشروعات الصناعية وبمبادرة من مصطفى كمال أتاتورك تأسس عام ١٩٢٤ بنك (اس بانكاسي) بنك للأعمال الخاص وأنشئت فيما بعد شبكة المصارف الحكومية لمنح قروض للصناعة والتعدين والتجارة

وأنشأ فروعاً في الاسكندرية (بمصر) ، حاولت الحكومة أن تطور الأهداف الاقتصادية والمالية أساساً بانشاء الاحتكارات الصناعية الحكومية ويذكر ز . ي هرشلاغ في كتابه مدخل إلى التاريخ **الاقتصادي الحديث في الشرق الأوسط**(٢٨) ، أن من بين العوامل الخارجية التي ساعدت على صعود وتطور النظام الاقتصادي التركي الجديد عاملين يستحقان الذكر :

*ـ العامل الأول : تأثير الأزمة العالمية على تركيا في الثلاثينات حيث استفادت تركيا من ذلك .

*ـ العامل الثاني : تأثير الاتحاد السوفييتي على الجمهورية التركية الفتية ومساعداته الاقتصادية لها .

ففي عام **١٩٢٨** نشر النظام السوفييتي خطته الخمسية الأولى التي شكلت حالة معنية في تاريخ الاقتصاديات التي سادت حينذاك وكانت تركيا تتابع سير الأحداث في النظام السوفييتي بمشاعر مليئة بالتردد والاختلاط وخاصة بالنظر إلى الأزمة الرأسمالية العامة ، فمن ناحية أعجب الأتراك بقوة الدفع الهائلة في الاقتصاد السوفييتي في بدايته ، وبنفس الوقت كانوا ينظرون إليه بريبة وشكوك وكان أتاتورك يخشى الأفكار (الراديكالية الجديدة) التي جاء بها النظام الاشتراكي .

من كل ذلك كانت تركيا تشهد مرحلة تطور حاسم على الصعيد الداخلي وكان على النظام الجمهوري الجديد أن يدعم مركزه الديكتاتوري وأن يخمد ويضرب بيد من حديد المعارضة الداخلية القائمة بين الأقليات القومية والسياسية حتى عام **١٩٢٧** ، وكانت

شكوك الدول الرأسمالية تزداد حول امكانية تركيا التقدم نحو الاتحاد السوفييتي مع تزايد العلاقات الاقتصادية معه ، حيث أرسل خبراء سوفييت إلى تركيا وطلاب أتراك إلى الاتحاد السوفييتي لبناء العديد من المشروعات التركية الوطنية فيما بعد وتم إنشاء مؤسسات تركية خاصة في روسيا «توركستروج» لتوجه العلاقات التجارية بين البلدين وقدمت لتركيا العديد من المعونات من الدبابات والأعتدة الحربية ، إلّا أن الفكر الاوتوقراطي ظل مسيطراً على تركيا وكانت السلطنة العثمانية ترخي بظلالها على عقول وأفكار التعصب والاستبداد ، فان أوضاع تركيا في بداية الجمهورية قدمت تربة خصبة لكي تكون البلاد شديدة المركزية أكد فيها أتاتورك أنه ليس بنوايا تركيا أن تتوجه إلى الاشتراكية بل هي دولة جمهورية ، وحددت الدولة على أنها مدير للنشاطات الاقتصادية لصالح التنمية القومية والدفاع القومي في بلد كان المشروع الخاص وحتى العام غير قادر على القيام بأي شيء أو ثورة حقيقية(٢٩) مع استمرار الارتباط بالغرب .

من هنا نجد أن أتاتورك ساعد في نشاط الاستثمارات الخارجية ودخول الرأسمال الأجنبي وكان البنك العثماني الذي يملكه البريطانيون والفرنسيون يعد أقوى المؤسسات المالية في البلاد على الاطلاق .

إلى جانب مختلف المكاتب الفرعية للبنوك الدولية التي أنشأت في أنقرة واسطنبول والتي كان لها علاقات وطيدة مع الحركة الصهيونية العالمية وشركة الاستيطان الشرقية ، إذ نلاحظ العلاقات الحميمة بينها وبين مدراء ومسؤولي البنوك والمصارف الجديدة(٣٠) .

وكـان لذلـك كله هدفـاً مبـاشراً من أهـداف هرتزل والحركة الصهيونية والجـالية اليهــودية لادخـال الـرأسـمال الاحتكـاري عبر الجمهورية أيضاً لاستثماره في النواحي الزراعية والصناعية والمالية ليس ضمن تركيا الحديثة فحسب بل وضمن البلدان العربية وبالأخص في سورية ولبنـان وفلسـطين حيث نجحت الـدول الاستعمارية كفرنسا وبريطانيا لتوها في ذلك وبدأت الحركة الصهيونية عبر الدونما من شراء الأراضي في لبنان وفلسطين كقاعدة مستقبلية للاستيطان ونجحت في ذلك تماماً .

* محاولات تخريب العلاقات السوفيتية مع الجمهورية التركية الفتية :

في ٣/٦/١٩٢٠ أطلعت الحكومة السوفيتية على السياسة الخارجية التي بدأت تنهجها حكومة أتاتورك في أنقرة وأعربت عن أهمية توطيد العلاقات الدبلوماسية والقنصلية مع تركيا والموافقة على اجراء محادثات بدون ابطاء أو تلكوء ، وأكدت الحكومة السوفيتية على امكانية اجراء محادثات بين تركيا وأرمينيا حيث كان حزب الطاشناق الأرمني البورجوازي معادياً للثورة وللسوفييت يقبض على زمام الحكم في أرمينيا وجاء في ذلك :

« ان الحكومة السوفيتية تتبع بأقصى درجات الاهتمام الصراع البطولي الذي يخوضه الشعب التركي من أجل الاستقلال والسيادة وأنها لسعيدة في هذه الأيام العصيبة التي تعيشها تركيا أن ترسى أساساً متيناً للصداقة التي يجب أن توحد الشعبين السوفييتي والتركي على الأهداف المشتركة ...(٣١) .

ثمّ تمّ التأكيد على أن السياسة الخارجية السوفيتية الجديدة تقوم على أسس اشاعة الحرية والعدالة والديمقراطية وحق الشعوب في تقرير مصيرها ومساندة الشعوب المضطهدة لتحرير نفسها والكفاح ضد الامبريالية والعنصرية والروح القومية المتعصبة وعدم استغلال الانسان للانسان ، وفي ٤/ حزيران/ ١٩٢٠ أخبر (بكر سامي بيك) وزير خارجية تركيا الحكومة السوفيتية أن خطابها للاعتراف بحكومة أتاتورك الوطنية قد تسلمته الحكومة التركية بكل رضى وسرور(٣٢) .

كذلـك أكـد وزير الخارجية التركي أن الجمعية الوطنية العليا الـتركية واثقـة من أنـه تسعى لتأييد الجانب السوفييتي بكل تصوراته الديمقراطية والانسانية الجديدة ضد مختلف التد خلات الاستعمارية الخارجية التي تحاول فرضها الدول الامبريالية في صراع غير متكافيء .

واحـترامـاً لدور الحكـومـة الـتركية الجـديدة أرسلت مفـوضية الشعب للشؤون الخارجية السوفيتية رسالة إلى مصطفى كمال أتاتورك تؤكـد له أنها مهتمـة بمسـانـدة تركيا بكل امكانياتها حيث تم وضع مشروع لأول معاهدة سوفيتية مع تركيا .

إلاّ أنه حينما كانت في تركيا حكومتين واحدة تتخذ من « أنقرة » عاصمـة لها برئـاسـة أتـاتـورك والـذي لف لفـه من مجامـع سياسية واقتصادية وحزبية وضعت تصورات خاصة بها لازالة الأوضاع الناتجة عن السلطنـة بهدف الاعتـماد على مايسمـونه الديمقراطية الرأسمالية الحرة وتتخذ من أنقرة عاصمة للبلاد ، وحكومة أخرى للسلطان تقبع في اسـطنبـول كانت تحميها فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة والتي وقعت معـاهدة سيفر عام ١٩٢٠ في أغسطس ، حيث فقدت تركيا بمـوجبهـا أراضي واسعـة من أراضيهـا ورفضت حكـومـة أتـاتـورك الاعتراف بمعاهدة سيفر وغيرها من المعاهدات التي كبلت تركيا .

سعت كل من بريطانيا وفـرنسـا والـولايات المتحـدة وأدواتهم الحـركـة الصهيونية وحـزب الطاشناق البورجوازي الرجعي وعناصر الـدونـما والمـاسـونية التي كانت تعمل كرأس حربة ضد أية متغيرات جديدة مع فجـر الثـورة البلشفية الجديد ، كل تلك القوى مجتمعة

كانت تحمي حكـومة السلطان وبحت الوعيد والوعود الكاذبة عملت من خلال العناصر الرجعية تلك من البورجوازية التركية وغير التركية الـتي عارضـت بقـوة قيام أية علاقــات طبـيعية وودية مع السلطة السوفيتية الجديدة كانت تلك العناصر اليمينية تسعى مع الامبريالية البريطانية للسيطرة على ماوراء القفقاس وسيبيريا حيث ضغطت باتجاه منع المباحثات مع حكومة كمال أتاتورك التي رفضت التدخل الخارجي .

أما النظام الاشتراكي نظم جيش كبير لمواجهة جيش الطاشناق المدعوم من قبل الحركة الصهيونية العالمية والامبريالية ، وحينما وقعت المعـارك صمم الـطاشنـاق على مواجهـة الســوفييت وقـامت حكومة الطاشناق المدعومة من الامبريالية والتي ركزت جهودها لفك الارتباط مع النـظام السـوفييتي بتوقيع (معاهدة الكساندر روبول) المجحفة (٢) ديسمبر كانون الأول ١٩٢٠ مع تركيا التي حولت أراضي أرمينيا كلهـا ، باستثنـاء (ياريفـان) وبحيرة جوكتشا (سيفان) إلى محمية تركية في واقع الحال ، وكانت هذه المعاهدة موجهة كما هو واضح ضد النظام السوفييتي بالتعاون بين الطاشناق وبين الحكومة التركية ، فلم توافق عليهـا بالمـطلق لأن وفـداً من الـطاشنـاق وهو الذي وقع على المعاهدة لم يكن يمثل حكومة أرمينيا والشعب الأرمني ، فسعى النظام الاشتراكي إلى اسقاط هذه المعاهدة واقامة السلطة السوفيتية في أرمينيا ٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٠ .

* الـطاشنـاق والحـركـة الصهيـونيـة تعـاون مشـترك مع الامبريالية ضد أرمينيا :

كرست الحـركـة المعـادية للنـظام الاشتراكي الذي أظهر لتوه « الفضـائح السرية » التي وقعتها القيصرية الروسية ، مما أثار شهية الـدول الامـبريالية ، بريطانيا وفـرنسـا بالتحـديد لمحـاصرة النـظام الاشـتراكي وخـاصـة بعـد فضـح اتفاقية سايكس بيكو الموقعة عام **١٩١٦** اضـافـة لوعـد بلفور عام **١٩١٧** ، وأثناء ذلك وضعت بيد الحركة الصهيونية وحركة الطاشناق اللتين ركزتا كل الامكانيات لزيادة عناصرها وضرب السوفييتيات داخل النظام الاشتراكي وخارجه مالياً واقتصادياً واتباع أساليب متعددة للتأثير العميق على الاقتصاد وتعبئة حركة البوند واليهود في روسيا القيصرية تحت شعارات متعددة ، كما أنها جمعت كل العناصر المعادية وزجت بهم في أتون صراع مكشوف وواضح ولم تكن تلك الأوساط في تركيا بمعزل عن ذلك بل نظمت قوى عسكرية معادية واسعة جداً للعدوان على أرمينيا لدعم الحرس الأبيض في آسيا الـوسـطى ولم توفـر الجهـود لممارسـة شتى الأعـمال الارهابية والعدوانية فاضعفت وضع تركيا قيادة « مصطفى كمال » في نضـالهـا ضد الامبريالية أما القوات اليونانية لعبت دور هي الأخرى ضد أتاتورك بدافع من بريطانيا ونظراً لسوء الوضع فقد أعلن الاتحاد السوفييتي عن تقديم مساعدة غاية في الأهمية لمقاومة القوات اليونانية والقـوى الـرجعية في شبـاط **١٩٢١** وفي نفس الفـترة تقـريبـاً سافـر (يوسف كمال بيك) لاستكـمال المبـاحثـات مع موسكـو كمنـدوب للجمعية الوطنية الكبرى في تركيا حيث حاول المندوب التركي ضرب

المحادثات مع الاتحاد السوفييتي والتخلي عن المعاهدة المشتركة وسميت بمعاهدة الصداقة ١٦ آذار ١٩٢١ ، حيث وضعت فيها بعد (هدنة مودانيا) في تشرين الأول ١٩٢٢ حداً للمغامرة اليونانية **ومهدت السبيل لمعاهدة سلام جديدة وقعت في لوزان ، أما مؤتمر لوزان** فوصل إلى نهاية ناجحة رغم بعض العقبات أما عصمت باشا (عصمت أنيونو) ممثل تركيا في لوزان أقرب مساعدي مصطفى كمال أيدا الاتفاقية والمؤتمر فمنحت اتفاقية لوزان الاستقلال السياسي لتركيا بعد أن لعب دوراً هاماً فيها . إلّا أن الامبريالية البريطانية تحفزت لتقديم تنازلات على أساس المناورة على الجانب السوفييتي بهدف التملص من العلاقات مع الاتحاد السوفييتي وعلى هذا الأساس أرسل وفد أخر إلى لندن لضمان الصفقة مع بريطانيا برئاسة (بكر سامي بيك) حيث تقرر عقد مؤتمر لوزان لتقسيم السلطنة وسعت هذه الدول لفرض شروطها من نوع آخر بمساعدتها على احتلال أراضي غير الأراضي التركية تشجيعاً لروح الطورانية العنصرية في نفوس الأتراك وذلك بمنح تركيا الانتداب على جميع أراضي ماوراء القفقاس بما في ذلك منابع النفط في أذربيجان (باكو) كما نصت معاهدة سيفر على ذلك وعلى أن يضمن الوطن القومي لليهود في فلسطين أيضاً .

كان صاحب هذا الاقتراح لويد جورج الذي استهدف تحريض تركيا على النظام الاشتراكي والذي أغلق الأبواب بوجه الاحتكارات في روسيا ، وهي محاولة لضرب العلاقات ناشئة بين تركيا - والجار الكبير ، واستخدامها كرأس جسر للتحركات وكانت الحركة الصهيونية تسعى لذلك أساساً من زمن بعيد لكن حينما

تسربت أنبــاء هذه المحــادثــات (السرية) إلى صفحــات الصحف الـبريطانية والفرنسية المعارضة استطاعت الحكومة السوفيتية من تنبيه الـوفـد الـتركي إلى أن الاستفـزازات البريطانية في مؤتمر لندن ستؤثر بعمق على العـلاقات بين البلدين وأن ذلك يعني اعلان الحرب وقد كتب تشيتشيرين يقول في ذلك :

بما يعني : من الـذي يقـوم بكـر سامي بك بتمثيلهم ؟ فهل يمثل اسطنبول (أي السلطان) أو أنه يمثل أنقرة (أي الجمهوريين)[٣٣] .

إلّا أن الجـواب أعـطي على أسـاس أن أنقرة الجمهورية هي المسؤولة وأنها تدرس الاستفزاز البريطاني ومناوراته بهذا الشأن ، وأكد لينين زعيم أكتوبر « أن الدول الضعيفة مثل تركيا تتآمر عليها الدول الامـبريالية لاغـراءها بالمال وحثها على كبح تطورها المستقل وتقديم الاستقلال وحق تقرير المصير للأقليات القومية الأخرى ودفعها لقمع تلك الأقليات وقمعها وارهابها بشكل وحشي[٣٤] .

هذا ماكان يؤكده مفوض الشؤون الخارجية السوفيتية وقد أكد في المؤتمـر الـروسي الـتركي الـذي عقد في ٢٦ شباط ١٩٢١ لتوقيع معاهدة الصداقة .

« ان صداقة شعوب الشرق تمثل بالنسبة الينا الشرط الأساسي لحياتنـا الـدولية وعـلى هذا الأسـاس بالتحـديد يجب أن تضع تركيا الصــداقــة معنـا في أسـاس وضعهـا السياسي أن قوتنـا الأخـلاقية والـسياسـية هي شيء لا ينـفـصـم عن تحالـفــاتـنــا مع شعــوب الشرق[٣٥] ... لكن بسبب من المـوقف الســوفييتي المبـدئي ، أدرك

الجانب التركي أهمية استمرار العلاقات مع ثورة أكتوبر وحكومتها السوفيتية وعلى لسان (يوسف كمال بيك) رئيس الوفد التركي أكد عمق الروابط بين البلدين وقال :

« ان الشعب التركي يمد يده باخلاص لثورة **أكتوبر**»[36] .

* أهمية معاهدة الصداقة ١٩٢١ بين تركيا والاتحاد السوفييتي :

عند انتهاء المفاوضات التركية السوفيتية في موسكو أكد رئيس الوفد التركي بحرارة على أهمية الروابط التاريخية والجغرافية والاقتصادية والسياسية بينهما ، معتبراً عامل الثقة هو العامل الذي يدعم العلاقات الثنائية وتم توقيع معاهدة الصداقة في نهاية المباحثات والتي كان لها أهمية استثنائية في كفاح الجمهورية التركية ضد التدخلات الرجعية الداخلية إلاّ أنه بسبب من زيادة ارتباط تركيا بالاحتكارات وبالسوق الرأسمالي العالمي قبيل وبعد الحرب العالمية الثانية ضربت بنود هذه المعاهدة(٣٧) لأسباب عديدة وأهم بنودها :

آ ـ اقامة علاقات ودية متبادلة مستمرة وصداقة مخلصة لا تتزعزع .

ب ـ التضامن المشترك ضد الامبريالية العالمية التي تشكل محور معادي للنظام الاشتراكي ولتركيا كبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وأعوانهم .

جـ ـ ان أي مصاعب أو تدخلات بوضع أحد البلدين تسيء إلى سمعة ووضع الشعب والبلد الآخر .

د ـ تعترف كل منهما بحق الأمم في تقرير المصير والصداقة وحسن الجوار .

هـ ـ اقامة علاقات متكافئة على أسس المصالح المشتركة والمتبادلة .

و ـ جاء في المادة الأولى من المعاهدة التزام الطرفين بعدم الاعتراف بأية معاهدات سلمية أو أية وثائق دولية أخرى تجبر الطرف الآخر على قبولها بالقوة .

ز ـ اعترفت الحكومة السوفيتية على أهمية أن تكون الحكومة الوطنية التركية برئاسة مصطفى كمال أتاتورك الممثلة حالياً بجمعيتها الوطنية الكبرى وعلى عدم اعترافها بأي وثيقة دولية كانت خاصة بتركيا لا تصادق عليها الحكومة التركية هذه .

من الواضح أن مضمون هذه المعاهدة مهم جداً في تبدل العلاقات بين الدولتين إلاّ أن حكومة أتاتورك كما سنلاحظ فيما بعد لم تأخذ من هذه المعاهدة بشيء سوى الأجزاء التي تهم مصلحتها الأساسية ، لأنها قامت باضطهاد الأقليات القومية وقمع وارهاب مواقفهم السياسية المستقلة ، وكانت أحجية توقيع المعاهدة من الطرف التركي مع روسيا للوقوف بوجه الأعداء الآخرين ولضمان الأموال لخزينتها العامة ، إلاّ أنه رسخت في البداية هذه المعاهدة العلاقات بين البلدين فحددت الحدود الشمالية الشرقية لتركيا بحيث تضم دائرتا (اردهان ـ وقرص) إلى أراضي تركيا ، وبموجب المادة الثانية كان على تركيا أن تجلو عن مدينة (باطوم) وأن تتنازل عنها لجورجيا على أساس من ضمان المرور من الحدود دون دفع رسوم أو ممانعات إلى تركيا وبالعكس عبر الميناء وقد اعترف بمنطقة ناخيتشيفان كمنطقة ذات حكم ذاتي تشملها سيادة أزربيجان السوفيتية فيما بعد اعترف الطرفان بحق هذه الشعوب بالاستقلال وأعلن كل منهما عن الغاء المعاهدات القديمة المتعلقة بهذه المناطق ، وبدافع من ثورة أكتوبر وعمق فهمها للروابط الدولية الجديدة ولبسط علاقات نوعية من نوع جديد بين الدول والشعوب في الشرق أعلن النظام السوفييتي أنه يعتبر تركيا غير ملزمة بدفع التزاماتها المالية وغيرها من الالتزامات

بموجب المعاهدات السابقة المعقودة بينها وبين القيصر الروسي .

في نفس الوقت أعلنت أن الوجود الاحتكاري الأمريكي البريطاني في تركيا وعلى الحدود الشرقية من البلاد ؟! لا يتماشى مع قضايا التحرر الوطني الحر لتركيا ومعاهدة الصداقة ، وأن الامتيازات الأجنبية الرأسمالية ستؤثر في المستقبل على قضايا حسن الجوار وعلى ضرب معاهدة الصداقة أيضاً وضرب بنودها الأساسية ، وعلى هذا الأساس يقر الطرفين بأن لا يسمح الطرفان لأي حركة أو جماعة أن تلعب دوراً منافي لدور الحكومة وتعهداتها وأن تنكر عليها علاقاتها ومواثيقها مع الدول الأخرى ، وأدرجت كذلك في المادة الخامسة من المعاهدة الخاصة بمضايق البحر الأسود والبحر الأبيض على ضمانة فتح المضايق وحرية الملاحة الدولية وموافقة الطرفان على أن يكون حسم هذه المسألة بالميثاق الدولي الخاص بالبحر الأسود والمضايق شريطة أن يخص ذلك تركيا وبالأخص مدينتها اسطنبول .

من جهة ثانية تعهدت روسيا السوفيتية في المادة (١٥) بأن تعترف جمهوريات ماوراء القفقاس بالمعاهدات المعقودة مع تركيا .

مما لاشك فيه أن هذه المعاهدة وطدت مواقع وسمعة ونفوذ تركيا وتماسكها الداخلي ابان تشكيل جمهوريتها الأولى بزعامة أتاتورك الذي اعتبر شخصيته القومية الأولى في البلاد حيث كانت تركيا في ذلك العهد بأمس الحاجة لها للدفاع عن أراضيها وموقعها من التداخلات الأجنبية التي أرادت تقسيمها حيث أمر بذلك ويلسون نفسه ، وبفضل مساندة الاتحاد السوفييتي لتركيا في العشرينات والثلاثينات والأربعينات من هذا القرن إلاّ أن تركيا ردت على ذلك

بعـد الحـرب العـالمية بوضع أراضيها وشعبها تحت النفوذ العسكري الأوروبي والأمـريكي بما يعني ضرباً لمعاهدة الصداقة وتهديداً لحدود الاتحاد السوفييتي الذي دعم جمهورية تركيا الفتية والحليف الوحيد لها أيام محنتهـا الأولى ، كما تلت معاهدة الصداقة مذكرتين هامتين جاء في جوهرهما :

١ ـ أهمية اخـطار كل طرف باخلاص كامل وقضاء كل ما من شأنه اختراق الثقة المتبادلة الكاملة .

٢ ـ أن لا تعقد تركيا أي اتفاق أو معاهدات يمكن أن تمس بمصالح روسيا دون اخطارها بها ، وتعهدت روسيا بالمثل[٣٨] .

في مذكـرة أخـرى بتـاريخ **١٩٢١/٣/١٦** أعلنت الحكـومـة التركية نيابة عن الجمعية الوطنية في ترنيا مايلي :

« انـه في حالـة نشـوء النية . . . لادخال تغييرات ذات طابع مبدئي على الاتجاه العام لسياسة تركيا الخارجية ازاء روسيا فان تركيا ستبلغ الحكومة السوفيتية دون أي ابطاء[٣٩] .

على هذا الأساس تم منح تركيا مساعدات مالية تقدر بـ **٤,٥** مليون روبـل ذهبي[٤٠] وكانت هذه المسـاعـدة من روسيا السـوفيتية تبرهن على النهج الذي نهجته مع تركيا في البداية ، وليس مع تركيا فحسب بل ومـع البلدان المجـاورة في الـوقت الذي كانت فيه قوى معادية تحطم كل القاعدة المادية والاقتصادية للبلاد وتزج بها في أزمة اقتصـادية إذا لم ترغب الـدول الاستعـمارية بريطانيا وفـرنسا أن تجد الجمهورية منظورة وتمد يد العون إلى السوفييتيات .

أمـا فرونـز ه القـائد العام للقوات المسلحة في جنوب الاتحاد السـوفييتي فقـد زار الجمهورية التركية عام ١٩٢٢ /وأرسلت البعثة رسمياً باسم جمهـورية أوكرانيا الاشتراكية السوفيتية وكان الهدف منها عقـد معاهدة بين تركيا ، والجمهورية السوفيتية الجديدة على أساس من معـاهـدة موسكـو وقـد تمّ ارسـال فرونـز ه في وقت تدخـلات (بريطانيا ـ واليونـان) بعـد اقـتراب المعـركـة من الحسم بسبب المسـاعدات السوفيتية للجمهورية حيث ألقى فرونز ه خطاباً حماسياً أمـام الجمعية الـوطنية الـتركية فضـح فيه دسائس الدول الامبريالية وأعـوانها في الـداخـل من الـطاشنـاق والصهـاينة لتقويض الصداقة الجـديدة ، وقد كان لوصوله إلى أنقرة دوياً جماهيرياً عالياً وخاصة في الأوساط الرسمية والشعبية الواسعة أما تلك الأوساط الرجعية داخل البـلاد فقـد حاولت اجهـاض تحركـات بعثته وضرب مواقفها النبيلة بتقديم مساعدة عسكرية لحسم المعارك مع الجانبين البريطاني واليوناني لصالح الشعب التركي وقد طبقت على الفور بنود معاهدة الصداقة من الطرف السوفييتي ، فقال مصطفى كمال أتاتورك وقتها :

« نتيجـة لصـداقتنا مع الروس حصلنا منهم أساساً على عدد كبـير من المـدافـع والبنـادق والقذائف والأسلحة المختلفة وكل دعم مادي ومعنوي ...»[٤١] .

في عام ١٩٢٢ /نيسان وأيار من نفس العام تسلمت حكومة أتـاتـورك الـوطنية دفعـات جديدة من المساعدات المالية والعسكرية وأرسـل عمال باكـو مساعدات من الوقود « النفط » الذي اعتبر مهماً للغاية لتركيا بسبب أوضاعها الحرجة ، أما زيارة فرونزه لتركيا فقد ترك

أثاراً بالغة وأكد أتاتورك بحرارة أنه يرحب بكل خطوة جديدة تدعم مسرى الصداقة التركية السوفيتية معبراً عن امتنانه لقائد ثورة أكتوبر وقـائـد الجيش السوفييتي في الجنوب إلاّ أن الجمهورية لم تقف موقفاً صلبـاً ومبدئياً تجاه ثورة أكتوبر فمالت باتجاه التآمر عليها عبر تشجيع النشاطات المعادية وبالأخص نشاط الاحتكارات والاستثمارات التي لم يستطع أتاتورك القضاء عليها .

* الجمهورية التركية تساند الفاشية والنازية الألمانية وتنقض المعاهدات والعهود :

ان الدراسات والكتب التي ركزت على وضع تركيا في الثلاثينات لا تنفي أبداً مقدار التأثير للنظام السوفييتي في ميدان التخطيط الاقتصادي وتؤكد المصادر التركية في الثلاثينات والأربعينات أن الأيديولوجية السوفيتية أثرت بعمق في مفهوم الخطط الاقتصادية وتنفيذها إلّا أنه في نتيجة الأمر ونتيجة لتطور نزعة النازية الهتلرية وتصاعد نشاطات شركاتها الصناعية والحربية وما إلى ذلك ، فقد وقع الأتراك على اتفاقية صداقة وتعاون مع ألمانيا في الثامن من حزيران ١٩٤١ أي بعد أسبوع واحد فقط من اجتياح القوات النازية للأراضي السوفيتية فبدلاً من أن تقوم تركيا بالدفاع عن الأراضي السوفيتية على أساس معاهدة الصداقة معه تخلت عنه في الأوقات الحرجة وانتقلت إلى المعسكر المعادي ، وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية بأسابيع قليلة انتقلت تركيا نهائياً لمساندة المحور المعادي للاتحاد السوفييتي بعد أن نشط في المجتمع التركي تيار يميني يعتمد على الشعارات الطورانية في خلق حالة من الفاشية والنازية في الأناضول ، فبالرغم من حياد تركيا إلّا أنها سمحت للسفن والقطع الحربية الألمانية والايطالية بالمرور من مضائقها إلى البحر الأسود للهجوم على الأراضي السوفيتية من دون اشعار الاتحاد السوفيتي بذلك غير أبهة بالمعاهدات والاتفاقيات المعقودة معه ورجحت تأييد تركيا وسياستها الرسمية لصالح ألمانيا النازية التي بدأت تمدها بكل الامكانيات .

حيث بدأت العديد من الدوائر والعناصر الحاكمة في أوروبا وبالأخص في تركيا وايطاليا وبولونيا واسبانيا واليونان تهيء أنفسها للدخول في المعسكر الألماني النازي ، وكان للطورانية التركية وعنصريتها في هذه الأجواء الفاشية المحمومة أجواء مناسبة ومؤهلة للظهور بعد أن تمكنت الحركة العنصرية الناشطة في البلاد من التأثير على السياسة الرسمية وعلى سير الأحداث وبعد أن أضعفت الامبريالية الألمانية مجدداً النفوذ والمراكز الاستراتيجية والسياسية لبريطانيا وفرنسا وعملت بريطانيا وفقاً لتوجهات سرية إلى الاتفاق مع الاتحاد السوفييتي ضد ألمانياوبنفس الوقت عدم رغبتها بالالتزام معه على أن تقتصر العلاقة بالاتفاقية العسكرية مع الاتحاد السوفييتي وفي هذه الأثناء وبينما كانت المحادثات في موسكو مستمرة كانت بريطانيا تجري محادثات مع ألمانيا النازية حيث قدمت بريطانيا مشاريع وخطط للتعاون مع النظام الهتلري .

أما الصهاينة انطلاقاً من جميع البلدان الأوروبية بما في ذلك تركيا وسعوا من نشاطاتهم في تسميم الأجواء عبر الاذاعات وملء أعمدة الصحافة والوسائل الاعلامية البورجوازية بمعلومات تضليلية وكاذبة ، فالامبريالية حينما فشلت في تطويق النظام الاشتراكي الجديد عملت على تشويه سمعته ، والصهيونية باعتبارها قوة ضاربة للرجعية العالمية لا تتورع عن استخدام شتى الأساليب والحجج والممارسات للوصول إلى أهدافها ولا يتوانى أصحاب المليارات عن دفع أموالهم بسخاء للصهاينة ومثل (رابطة حماية اليهود) التي يتزعمها مئير كهانى ، وعن دفع المعاداة للنظام الاشتراكي إلى

أوجهـا وتمويل عمليات التجسس والتخريب ضد النظام الاشتراكي حيث عملت فروع المنظمات الصهيونية المتعددة لتغذية هذه الأعمال مثل (بناي بريت) و (هياس) .

كذلـك من أجـل هذه الأغـراض أقـام الصهاينة الأمريكيون أصحـاب رؤوس الأمـوال الضخمـة « المجلس التوزيعي اليهودي - الأمـريكي المـوحـد » تحت ستـار منظمات خيرية والهادف إلى تعميق انفصـال اليهود الاجتماعي والقومي عن محيطهم بهدف تغذية الفروق والنعرات الطائفية والقومية والهاء الكادحين عن الكفاح من أجل حل المشاكل الاجتماعية الملحة فكانت البرجوازية التركية تسعى إلى شحن الخلافات القومية وتشجيع معاداة السامية وممارسة بعض المذابح ضد اليهود والأرمن .

لكن تفـاقم وتـأزم التنـاقضـات داخـل النـظام الامبريالي إلى درجـات قصوى ساعد في نشوء عوامل صعود الصهيونية على المسرح حيث استهـدفت تأجيج نار الحـرب وكانت كل من بريطانيا وفرنسا واقعتـين أسـاساً تحت تأثير الحركة الصهيونية وتم اعلان الحرب ضد ألمـانيا وتحـولت الحـروب المحلية المحـدودة إلى حرب عالمية جديدة كبيرة ، فقبل ترسخ الفاشية في ألمانيا كان القسم الأساسي من اليهود لا يصغون للدعوات الصهيونية ولا يهاجرون إلى فلسطين وذلك رغم من الفـاقة والبطالة والتنكيل الديني الذي كانوا يتعرضون له فخلال السنوات الخمس والعشرين الأول (١٩٠١ - ١٩٢٥) لم يهاجر إلى فلسطين من الدياسبوري ١,٧٧٩ مليون يهودي اتجه ٧٦ ألف فقط إلى فلسطين أما الباقي فقد هاجروا إلى الولايات المتحدة ، أما الذين

هاجروا إلى فلسطين قدموا من بولونيا إلى تركيا ومن ثمّ إلى فلسطين[٤٢] .

بهذا الصدد أكد أحد عناصر الاستخبارات النازية :

« ان الأوساط القومية اليهودية راضية جداً على السياسة الألمانية العدائية ضد اليهود لأنها تساعد على زيادة عدد السكان اليهود في فلسطين ، وفي المستقبل القريب سترجح كفتهم على كفة العرب»[٤٣] .

وكان عام **١٩٣٩** يتميز بعام النجاحات السياسية للحركة الصهيونية في فلسطين بل وانعطافاً حاسماً في السياسة العنصرية للفاشيين الألمان ، فقد بدأت الحرب العالمية الثانية وخلال أيام وأسابيع قليلة احتلت الجيوش الألمانية أوروبا فبعد هجوم ألمانيا **١٦** تموز **١٩٤١** واجتماع الفاشية العالي المستوى قررت ضم شبه جزيرة القرم والمناطق الغربية من أوكرانيا ، فبدلاً من الهجرة اليهودية صار أجلاءهم باتجاه الشرق القضية الملحة ، وحينما شعر الصهاينة أنهم وقعوا في قبضة النازية زادوا من تعاملهم سع هتلر والنازية ، وعلى أساس من الفكرة الاشتراكية الصهيونية دعي الكادحون اليهود في أوكرانيا الغربية والمناطق القريبة لتأسيس جبهة اشتراكية ـ صهيونية موحدة وفي نيسان **١٩٣٢** أعلن الدكتور أوس يوريس أن تسعة أعشار أراضي فلسطين وشرق الأردن مرهونة بانتظار الشعب اليهودي ، إلّا أن في كتابه (كم تساوي اسرائيل) يقول الكاتب الأمريكي الفريد ليلينتال ذو الأصل اليهودي :

« حين قيامي لأول مرة بزيارة القدس في **١٩٤٤** دهشت لذلك

الدليل المحسوس ، الذي يجعل العنصرية اليهودية مثيرة للضحك فجميع اليهود يتميزون حسب بلدانهم وهي ليست ميزات انتروبولجية بل بكل شيء تقريباً»(٤٤) .

كذلك أكد حاييم كوغين عضو المحكمة العليا ان العنصرية أصبحت أساس المجتمع الاسرائيلي فيما بعد ، فقد كتب عام ١٩٦٣ :

« انه من السخرية أن تصبح نفس المبادىء النازية ، التي تمخضت عنها قوانين نيورنبيرغ الهائلة أساساً للاعتراف الرسمي بالانتماء إلى اليهودية في إسرائيل » وهكذا أثيرت الحرب بين النظامين الاشتراكي والرأسمالي ، إلاّ أن الموضوع لم يكن ليتحدد بهذه الصورة لأن الهتلريون فرضوا أيضاً ارادتهم على الأنظمة الرأسمالية في أوروبا ، وتحالفت تلك الأنظمة مع الاتحاد السوفييتي لدحر الفاشية ، وبدأت ألمانيا زحفها باتجاه الحدود السوفيتية بعد أن احتلت بولونيا بسرعة وحاولت السلطات الفاشية والبورجوازية حتى في تركيا خنق المظاهرات والمسيرات السلمية الحاشدة والمؤيدة للاتحاد السوفييتي والمعادية لألمانيا النازية ومطالبين الحكومة التركية بتطبيق معاهدة الصداقة مع السوفييت فعمقت تلك المظاهرات بشدة وتوسعت أعمال الارهاب والقمع لتطال الأصوات الديمقراطية في تركيا ، أما الجمهورية التركية تنامت عملية التطور الرأسمالي فيها وحاولت الارتباط بصحبة الآلة العسكرية الألمانية وكانت حركة « تركيا الفتاة » المرتبطة بالصهيونية والماسونية تشجع أعمال ونشاطات كبار التجار والملاكين وزعماء القبائل وازداد الوضع سوءاً على سوء فالجمهورية

رغم التحسن في المجال الزراعي بداخلها مثلاً أخفقت في الاستمرار بتطور الحياة الزراعية(٤٦) وتصاعد الفقر وازدادت الأوضاع المعيشية سوءاً في بداية الحرب وتصاعدت قيمة الأراضي بحدة وازدادت الحروب الداخلية وكانت ترسل اليها الأولاد فضلاً عن الأطفال لأداء الخدمة العسكرية وبعثت الأفكار الطورانية من جديد وعلى البناء العثماني الطوراني للحياة السياسية والفكرية والايدولوجية وعلى وحدة الشعب كأمة خارقة ، ضد قوانين الصراع الطبقي ، وحاولت تركيا انتهاج أسلوب التخطيط في الاقتصاد تارة واتباع نهج الاقتصاد الرأسمالي الحر تارة أخرى لكن كبار الملاكين ورجال الأعمال الأتراك من الدونما واليهود والطاشناق(٤٧) وقفوا موقفاً معادياً للتطورات والعلاقات الاقتصادية مع الاتحاد السوفييتي كما ذكر آنفاً فضرب تطور القطاع العالم لصالح القطاع الخاص وباتت حركة حزب الشعب الجمهوري لاتقاوم الاتجاهات الفاشية التي تنامت بداخله طيلة أيام الحرب فيشيعون عن اقامة دولة على أساس الحزب الواحد الذي يندمج فيه الحزب مع الدولة ومنع قيام أية أحزاب أخرى على الطريقة الألمانية النازية ، وكانت جميع أوضاع البلاد قبيل الحرب وخلالها مستمدة من النظام النازي وعلى أنه الخلاص من الواقع والأزمات وكان (ريشيب) يتزعم هذه الاتجاهات النازية والانعزالية ، إلى أن تدخل ضده مصطفى كمال وأجبره شخصياً على الاستقالة من وظائفه ونشاطاته بسبب أفكاره النازية واعتناقه الآراء الهتلرية .

في هذه الأثناء لم يؤيد الاتحاد السوفييتي تركيا طيلة أيام الحرب العالمية الثانية لمواقفها المتخاذلة ، كانت الحرب العالمية الثانية حرباً

مصـيرية بالنسبـة للشعوب السوفييتية والشعوب الأخرى أما الجيوش التركية المسلحة بدرجات كبيرة تنتظر الهجوم على الأراضي السوفييتية ونقض معـاهـدة الصداقة وتوغل في أوكرانيا وأرمينيا ونفذ خطط الاتحـاديين التوسعية لابادة الأرمن من جديد وتعاون مع الصهيونية لابـادة أقسـام من اليهـودية الـتركية لحثهم على الهجـرة إلى فلسطين بتشجيع واضـح وملموس من الأوساط الرأسمالية اليهودية أما الحركة الماسونيةفكانت ناشطة جداً من عناصرها مثل (جمال ــ وطلعت -

كاتحـاديين مخلصـين للماسونية وللخطر السياسي الاجرامي والارهابي للتيار النـازي في حزب الشعب الـذين رفعـوا شعـارات أيام الحرب العـالمية لتـأسيس (تركيا الكـبرى) بعـد محاولة التلميح بأن الاتحاد السوفييتي خسر المعركة وصار بالامكان السيطرة على قطاعات واسعة من أراضيه بمساعدة النازية ووفقاً للتصورات الفاشية الطورانية ووفقاً للأحـلام الأنفـة الذكر تساعدت تلك العناصر فيما بينها مع النازية وشجعت النـازية الهتلرية هذه التـوجهـات لخلق الـدولـة الطورانية الـتركية « العظيمة » وكان هؤلاء ينفذون المخطط النازي في تركيا ، أما الدول الغربية فقد أعطت لتركيا وجيوشها الضوء الأخضر لسياسة الـطورانيين مع حزب الشعب حيث وجدوا في احياء الأفكار والآراء والسياسة العنصرية والنازية معاداة سافرة ومكشوفة للاتحاد السوفييتي .

هكذا جعلت النازية الألمانية رأس جسر لها تركيا للاعتداء على الاتحاد السوفييتي ولتدعيم دور تركيا طرحت الحكومة التركية سراً على هتلر والنازية احتلال منابع النفط السوفيتية وكانت العناصر الطورانية

في الحكومة التركية تؤدي خدمة جليلة لهتلر في ذلك حيث فسحت له المجال لادخال الجواسيس والعناصر المأجورة لاثارة هذه المسائل في أذربيجان وآسيا الوسطى .

أما الدور الصهيوني فيبرز هنا متشابكاً متضافراً مع الاستراتيجية الهتلرية حيث كان هنالك ثمة تعاون وثيق لا يستهان به بين الجستابو والحركة الصهيونية وبينهما وبين الاستخبارات التركية قبيل وخلال الحرب العالمية الثانية ونشطت العمليات المشتركة بين الكيان الصهيوني بعد الحرب وبين الاستخبارات التركية إلا أن الحركة الصهيونية ومن خلال بعض زعماؤها أقامت في أنحاء ألمانيا كلها معسكرات تدريبية لاعداد العناصر اليهودية للعمل في المستوطنات الصهيونية في فلسطين .

فيما أبدى رئيس القسم اليهودي بجهاز الأمن الامبراطوري سيسليشنتشتاين معونة شاملة للمنظمات الصهيونية ملفتة للانتباه الى أهمية الممارسات الصهيونية الاستفزازية لخدمة ألمانيا النازية وتركيا وايطاليا لقد أثرت ايطاليا الفاشية وألمانيا تأثيراً بالغاً على الجيش التركي بعد الحرب ، كما أثرت على الصهاينة وعلى متطرفي (الهاغاناه) وكانت بريطانيا تحاول كسب رضاهم وودهم أيضاً .

قبل الاجتياح الألماني للاتحاد السوفييتي وفي ١٦/١١/١٩٤٠ وخلال المباحثات التي عقدها الجانب السوفييتي برئاسة (مولوتوف) مع هتلر أكد الوزير السوفييتي « بأن ألمانيا النازية أدخلت تركيا في مشروعها الاستراتيجي الاستعماري وأنها تدافع عن تركيا وتعتبرها علانية حليفة لها في الحرب وما بعد الحرب أيضاً »(٤٨) .

لقد كانت الطورانية التركية وعناصرها تلقى استحساناً من الحركة الصهيونية العالمية ودعماً خاصاً من الطاشناق الذين عادوا بقوة كل المعاهدات التي وقعت بين الاتحاد السوفييتي وتركيا ، وكانت تركيا أيضاً ابان الهجمات النازية على الأراضي السوفيتية تمد سيطرتها العسكرية حتى نهر اراكس في أرمينيا وفي عام ١٩٤١/ ٥ تشرين الأول أعلنت صحيفة (اولوس) عن ارتياحها على تدمير المدن السوفيتية وأبدت سياسة ألمانيا النازية مؤكدة بأن الألمان بهذا الأسلوب يحمون العالم الحر والمشروع الصهيوني من الفشل المحقق(٤٩) .

أما ايخمان فقد اتفق مع فايغيل بولكيس الصهيوني على أن يكون هنالك ضغوطات قوية على الجمعية الامبراطورية لليهود في ألمانيا ليلزم جميع المهاجرين من ألمانيا وايطاليا وتركيا بالتوجه إلى فلسطين ويطبق ذلك بمعرفة الجستابو والمخابرات التركية ، حيث تمت واحدة من أهم صفقات النازية مع الصهيونية ويشهد على ذلك ميكرو فيلم محفوظ في الأرشيف الرسمي للخارجية الأمريكية(٥٠) .

كذلك فاننا نجد التوافق بين طموحات الدولة العبرية الصهيونية في انشاء دولتها الكبرى من النيل إلى الفرات مع أهداف الطورانية التركية في بناء دولتها الواسعة فقد نشرت صحيفة (بوزتوك) العنصرية والفاشية المدعومة من العناصر الصهيونية والطاشناق في تموز عام ١٩٤١ ، خارطة كبيرة تضمنت الطورانية التركية ودولتها تركيا الكبرى(٥١) حيث تضمنت أراضي واسعة من جنوب الاتحاد السوفييتي وأرمينيا السوفيتية كلها ، وشمال سورية والعراق وقبرص وأجزاء من بلغاريا واليونان ، ولم تجرؤ الفاشية التركية

التي تولدت بين الأوساط البرجوازية الصغيرة والفئات العسكرية على اعلان تركيا الكبرى ، إلّا ابان الزحف النازي على الاتحاد السوفييتي ضاربين بعرض الحائط المعاهدات والمواثيق الثنائية معه وبالأخص معاهدة الصداقة والتعاون ، بينما كان الاتحاد السوفييتي ومصطفى كمال أتاتورك يسعيان بشكل أو بآخر للوصول الى حل نهائي للمسألة الأرمنية والمسائل الأخرى كان يطل من خلال ذلك عملاء الامبريالية لضرب تلك التطلعات السياسية المستقلة والانسانية ليس لشعوب تركيا وأرمينيا والبلقان ، فحسب وللشعوب الأخرى التي كانت السيطرة التركية لا تزال مؤثرة عليها[٥٢] .

لاحظنا كيف تقاطعت أهداف النازية الألمانية مع الطورانية التركية ونمو الاتجاهات الفاشية في تركيا فالنازيون يسعون لبناء الدولة النازية العالمية في أوروبا وأما الطورانية التركية فقد سعت لبناء تركيا الحديثة الكبرى كمساندة واضحة من قبل الجستابو والنازية هذه التطلعات جميعها توافقت مع تطلعات الحركة الصهيونية العالمية ففي حزيران ١٩٤١ شكلت الفاشية التركية (٢٦) فرقة عسكرية أي مليون عسكري من أجل الهجوم على الاتحاد السوفييتي وفي عام ١٩٤٢ صرح رئيس الحكومة التركية (شكري ساراجوغلو) للسفير النازي في تركيا : أننا في اللحظة الأولى لسقوط لينيغراد سوف ندبر هجوماً واسعاً لاحتلال آبار النفط في باكو كما تريد ألمانيا النازية واستبعاد بريطانيا والولايات المتحدة .

إلّا أن شكري صرح قائلاً لأحد الدبلوماسيين الغربيين المتعاطفين مع تركيا بأن تركيا في حقيقة الأمر غير مستعدة للقتال وهي

محايدة إلّا أنه في حال انتصار النازية فان احتمال انشاء تركيا الكبرى وارد ولا يمكن ذلك إلّا باحتلال منابع النفط في باكو[٥٣] .

لقد أكد المؤرخ فرانك وايبر ، أن تركيا حينما شعرت بفشل الحملات النازية فيما بعد بدأت تغير مواقفها لصالح بريطانيا والولايات المتحدة شيئاً فشيئاً وعندما فشلت ألمانيا النازية فعلياً غيرت مواقفها وفي عام ١٩٤٦ وأثار تشرشل الثعلب الماكر قضية أن العالم الحر بصدد اعلان الحرب الباردة ضد الشيوعية والاتحاد السوفييتي ، ومن أجل ترضية استراتيجية جديدة في المنطقة كانت على الجهة الأخرى تسعى الامبريالية ليس للسيطرة على حقول النفط في باكو فحسب بل وحقول نفط الشرق الأوسط حيث خططت ألمانيا خلال الحرب لذلك ، وكانت الولايات المتحدة ترمي بثقلها لافشال مخططات ألمانيا في محاولات السيطرة على منابع النفط في باكو والشرق الأوسط لتضمن وصولها اليها .

فاستراتيجية العالم الرأسمالي الحر وأفكاره في كبح الاتحاد السوفييتي وانتصاراتها الساحقة كان في الطرف الثاني والأهم هو السعي لتوحيد الوجود الصهيوني في الشرق الأوسط وتطمين بريطانيا للحركة الصهيونية بتسليمها فلسطين بمساعدة الولايات المتحدة وفي آذار ١٩٤٧ اعترف ترومان باحتلال تركيا للأراضي الأرمينية مدعياً أنها تدخل ضمن الأراضي التركية أما (جبال ارارات) الذي يعتبر رمز قومي للشعب الأرمني فقد أدخلته تركيا ضمن أراضيها بعد انضمامها لحلف الشمال الأطلسي عام ١٩٥٢ ونصبت عليه صواريخ نووية وأجهزة اتصالات الكترونية معقدة ووضعت أسلحة أمريكية

للتجسس ورادارات للتنصت والاستطلاع الأمر الذي وقع تركيا لطلب مساعدات مالية من الولايات المتحدة بسبب ظروفها الاقتصادية وقد أكد ترومان في ١٢ آذار ١٩٤٧ ذلك الأمر مدعياً أن هذه المساعدة للحفاظ على وحدة أراضيها ، مؤكداً على أنه إذا كانت تركيا بحاجة لهذه المساعدة فان الولايات المتحدة ستزودها بها فوراً ، وهكذا دفع ترومان الكونغرس للموافقة على اعتمادات تركيا من المساعدات المالية والاقتصادية والعسكرية فوافق على ١٥٠ مليون دولار كمساعدة دولية ووافق على ارسال مجموعة من العسكريين والموظفين الأمريكيين إلى تركيا للمساهمة في اعادة بناء ماضربته الحرب وهي دلالة لدراسة الأوضاع التركية للوقوف بوجه النجاحات السوفيتية المتصاعدة خاصة بعد انتصاره الساحق على النازية فبحجة الخطر السوفييتي وسياسة الاحتواء أكد دالاس وترومان على ضرورة أن تضطلع الولايات المتحدة عبر تركيا واليونان بالتدخل المباشر ليس في أوروبا فحسب بل وكذلك في شرقي البحر الأبيض والشرق الأدنى لحماية اسرائيل .

في تموز ١٩٤٧ وقع في أنقرة على ترتيبات جديدة للبدء في تنفيذ برنامج المساعدات الأمريكية الذي أقرته الجمعية الوطنية التركية في أيلول من نفس العام أما بعد الحرب فقد تلقت مساعدة بمقدار ١٠٠ مليون دولار أما ضمن مشروع مارشال لاحتواء أوروبا بما في ذلك تركيا واليونان (١٩٤٩ ـ ١٩٥٢) فقد تضمنت المساعدات ما مقداره ٧٧٨ مليون مساعدات عسكرية واقتصادية وعند قيام الكيان الصهيوني فرض على تركيا التنسيق منذ البداية مع الكيان

الصهيوني فرتب الأمريكيون برنامجاً خاصاً للمساعدات لتركيا ليحقق توازنـاً هامـاً واسـتراتيجياً للقـوات التركية وتعزيز امكانيات قطاعاتها المتعددة وتعبئة المخازن بترسانة من الأسلحة الأمريكية الحديثة حيث سلمت الـولايات المتحـدة لتركيا عام ١٩٤٨ أكثر من (١٨٠) طائرة (ف ٤٧) و٣٠ طائـرة (ب ٢٩) وشدد البنتاغون مع وزارة الدفاع التركية على أهمية اعادة بناء وتوزيع وتحسين المطارات الغربية التركية ولم تقتصر المسـألـة على ذلك بل توسعت إلى تعزيز الموانيء والمخابيء البحـرية للغـواصـات الأمـريكية لتعزيز مقدرتها على اغلاق مضيق الفوسفور والدرنيل بوجه البحرية السوفيتية في احتمالات المستقبل .

وبدأت وظيفة تركيا الجديدة المنوطة بها كدرع واقي لاسرائيل وكقاعدة استراتيجية هامة لتنفيذ بعض المخططات العالمية بعد ادخالها إلى حلف الشـمال الأطلسي وهكذا لا يمكن لنا تجاهل أن الولايات المتحـدة بعـد اكتشـاف النفط صارت تسعى لمنـافسة بريطانيا لقيادة الشرق الأوسط واعتبـاره منـطقـة حيوية من منـاطق الاسـتراتيجية الأمريكية الكونية

★ ★ ★

الفصل الثالث
النشاط الصهيوني والامبريالي المشترك
ضد العالم العربي
(اتفاقية هتلر مع شركة هآفارا الصهيونية)

استغلت الامبريالية العالمية والحركة الصهيونية من ناحية أساسية وهامة (شركة النفط التركية) كرأس جسر وحالة اقتصادية متدهورة للتغلغل إلى العالم العربي منذ أن فشلت مهمة (مورغنتاو) عام **١٩١٧** وكانت الحجج تتلخص في المادة **(١٢)** من برنامج ولسن حيث تملصت بريطانيا من اتفاقية **(الحسين ــ مكماهون)** لتأسيس دولة عربية مستقلة ، والهدف اخماد جذوة حركة التحرر العربي من وراء ذلك التحرك البريطاني وتنشيطاً للأفكار العنصرية الصهيونية وبعث الأفكار العنصرية التركية في الطورانية التركية فتحت أكاذيب دراسة أوضاع الشرق الأوسط والاستشراق استطاع ولسن عام **١٩١٩** في **٢٠** آذار من تمرير مخطط صهيوني خطير تم بموجبه دراسة الكيفية التي تتم من خلالها السيطرة على فلسطين ونفط الشرق الأوسط وبالتالي السيطرة على قناة السويس أمام الملاحة الدولية قبل أن تتطور الحضارة الصناعية الأوروبية إلى الطائرات والبواخر وسكك الحديد العصرية الحالية التي نجدها اليوم في العقدين الأخرين من القرن الحالي .

أمـا في عام ١٩٠٢ الـتـقى هرتــزل مع وزير المستعمـــرات البريطاني الرأسمالي الكبير (تشيبرلين) وكذلك روتشيلد اقترح عليهما تخصيص شبه جزيرة سيناء بما في ذلك العريش وكذلك جزيرة قبرص لكي تصبح مستعمرة للمنظمة الصهيونية العالمية وكذلك (أوغندا) وأثناء منـاقشـة مشروع قبرص أشـار تشيبرلين إلى أن الجزيرة كثيفة السكـان من الأتـراك واليونانيين ولها حسابات أخرى فرد هرتزل رداً عنيفاً على ذلك :

« بأنه في حال موافقة الحكومة البريطانية على تخصيص قبرص للاستيطان اليهودي فان المنظمة اليهودية لن تتوانى عن فعل ذلك أبداً » .

أمـا هرتـزل فقـد أكد أن الشركة اليهودية الشرقية للاستيطان والتي رأسـمالهـا (٥) ملايين جنيه اسـترليني سوف تبدأ بشراء أراضي القبارصة فعلاً ، مما يعني طرد اليونانيين والأتراك منها والجدير بالذكر هنا أن بريطانيا اتفقت مع الحركة الصهيونية لاحتلال قبرص بحجة الدفاع عن تركيا ضد أي خطر روسي محتمل في شرقي البحر الأبيض المتوسط .

لذلـك فان الحـركـة الصهيونية العـالمية بفضـل نشاط زعمائها وبـالأخص نشـاط هرتـزل تحديداً[١] ، وبمساعدة الامبريالية العالمية سعت للحصول على التفسير القانوني الأساسي لتحويل فلسطين إلى دولـة توراتية ولم يكتفـوا بذلـك بل طالبـوا بتحـديد مصطلح الوطن القـومي اليهودي وفي أغسطس عام ١٩١٨ أعلن الرئيس الأمريكي ويلسون تحت تأثير عصبة الأمم الرجعية حينذاك قائلاً :

« قد قررت بوصفي رئيس للولايات المتحدة ارساء الدولة اليهودية في فلسطين بتأييد من الشعب والحكومة الأمريكية » .

في نفس السياق سعت كل من فرنسا ـ وبريطانيا لمعارضة المواقف الأمريكية ازاء المنطقة وسعت كل منهما لافشال الدور الأمريكي بل ولافشال مشروع ولسن ، ولما قابل الكولونيل هاوزر (سراً) الملك فيصل في ٢٩/٣/١٩١٩ محرضاً على معاداة فرنسا وبريطانيا لأنهما يتآمران على العرب عرض هاوزر مشروع ولسن عليه لتأييد الانتداب الأمريكي على الشرق الأوسط والأدنى ورفض الانتداب البريطاني ـ والفرنسي بأي شكل من الأشكال فحصل على موافقة مبدئية من الفيصل على أن يقام انتداب بريطاني في لبنان وسورية وفلسطين ويترك الباقي للولايات المتحدة على أن يقدم لفرنسا مناطق أخرى .

أما لورنس عميل الاستخبارات البريطانية فقد كان مستشاراً ومترجماً للفيصل والذي كان يحضر لقاء هذا الأخير مع هاوزر وترجم اللقاء والحوار أيضاً ، فتم كشف النقاب عن الاجتماع للأوساط البريطانية وكانت مهمة بريطانيا شبيهة تماماً بمهمة الولايات المتحدة ، وعلى هذا الأساس قامت بريطانيا بتوقيع معاهدة سيفر بينها وبين تركيا « السلطان » في ١٥/ تموز ١٩١٩ وقد نصت هذه المعاهدة على تنفيذ وعد بلفور الذي شكل جزءاً هاماً من بنود المعاهدة والتي تضمنت :

* **معاهدة سيفر لعام ١٩١٩ :**

أولاً ـ العمل على تشكيل مجلس يهودي دائم في فلسطين وفروع له في (اسطنبول) والبلدان الاستعمارية الأخرى .

ثانياً ـ تسهيل الهجرة للاستيطان في فلسطين بعد أن رفض السلطان عبد الحميد الهجرة إلّا بشروط كانت في الأساس لصالح الحركة الصهيونية وخدمة لها . .

ثالثاً ـ جعل اللغة العبرية اللغة الرسمية في البلاد(٢) وفتح الجامعة العبرية .

رابعاً ـ تنازل السلطان النهائي عن الأراضي العربية للحركة الصهيونية وبريطانيا وفرنسا .

خامساً ـ طالبت الولايات المتحدة عملياً أن توضع بعض مناطق آسيا الوسطى (باكو) تحت الانتداب البريطاني (والخليج العربي) كذلك(٣) .

أما دور الحركة الوطنية التركية فكان معادياً لاتفاقية سيفر كذلك معادياً لاتفاقية مودرس التي وقعت في ١٩١٨/١٠/٣١ والتي نصت أيضاً على :

١ ـ تسريح الجيش واعطاء الدول الأجنبية الحق الكامل بمراقبة الأوضاع الداخلية في البلاد واحتلال « باكو » و« باطوم » و« الفوسفور » و« الدرنيل » .

٢ ـ وفي مؤتمر الصلح انتظرت تركيا تقرير مصيرها حيث تمّ اقتسام أراضي السلطنة على أساس من اتفاقية سيفر آنفة الذكر(٤) وقطعت تركيا ارباً ارباً .

* وعد بلفور والمؤامرة الامبريالية الصهيونية على فلسطين :

تحدث بلفور عن وعده المشؤوم والمشهور باقامة وطن قومي لليهودية العالمية في فلسطين عام ١٩١٧ ، فتبع تصريح بلفور هذا تصريح آخر لويلسون يقول فيه :

« انه من الضروري جداً انشاء دولة عبرية في الشرق الأوسط وفي منطقة اسلامية عريقة » .

أما مبعوثو المنظمة الصهيونية العالمية تمكنوا من طرح مسألة توسيع حدود شمال فلسطين في الوعد المشؤوم إلى حدود نهر الليطاني ضمن الحدود اللبنانية وأكد رئيس وزراء الحكومة البريطانية وقتها أهمية أن تضمن المياه القادمة من نهر الليطاني للكيان الصهيوني وفي شباط عام ١٩٢٠ خبر ويلسون لتأييد ودعم مخططات الصهاينة برسالة أو (برقية) إلى لويد جورج زعيم اليهود الأمريكيين (براندرسي) الذي ضمّ ويلسون لتأييد المشروع الصهيوني وذلك لضم حوض الليطاني وسلسلة جبال الحرمون وشرق الأردن وجنوب لبنان ومرتفعات الجولان .

كذلك فانه قد أنشأت في فلسطين لجنة صهيونية برئاسة وايزمن ديسمبر ١٩١٨ وعقدت اللجنة مؤتمراً سرياً في (يافا) صاغ المهام الأساسية للحكومة الفلسطينية المؤقتة وتم مطالبة تغيير اسم فلسطين إلى (اسرائيل) واستبدال العلم الفلسطيني بالعلم اليهودي .

أما المؤرخ « فيفيل مندل » في دراسته المهمة أكد في حينه أن

المقاومة العربية في هذه الأثناء للاستيطان الصهيوني قد اشتدت عن ذي قبل[٥] .

من هنا نجد أن بريطانيا وفرنسا كانتا عازمتان على اجراء مفاوضات (سرية) فيما بينهما حول اقتسام البلدان العربية (١٩١٥ - ١٩١٦) حيث تم انجاز بنتيجة المراسلات بين مكماهون والحسين **للتحضير لانتفاضة** عربية شاملة ضد الأتراك حيث اقترح سالزبري رئيس وزراء بريطانيا بصراحة اتفاق بشأن اقتسام السلطنة العثمانية على أن تعترف بريطانيا بسيطرتها على العراق وشبه الجزيرة العربية وفلسطين والأردن[٦] .

وهكذا بعد مساومات وأخذ ورد كذبت بريطانيا بشأن تأسيس دولة عربية واحدة وكانت مع فرنسا والولايات المتحدة تقف ضد ذلك تماماً ، إلّا أن ممثلي بريطانيا سايكس وممثل فرنسا بيكو فوقعا في ١٥ أيار ١٩١٦ اتفاقية سرية قضت على أن :

١ - تستولي فرنسا على غربي سورية ولبنان وكيليكية (المنطقة الزرقاء) .

٢ - وأن تستولي بريطانيا على جنوب ووسط العراق والمناطق الفلسطينية الساحل الفلسطيني (المنطقة الزرقاء) والقسم الباقي من فلسطين المنطقة (البنية) .

٣ - وأعلن أيضاً اتفاقية لجعل القسم الشرقي من سورية وولاية الموصل العراقية منطقة نفوذ لفرنسا (المنطقة آ) .

٤ - وأن تكون شرقي الأردن والقسم الشمالي من ولاية بغداد منطقة نفوذ بريطانيا (المنطقة ب)[٧] .

هكذا خرقت بريطانيا جميع التزاماتها التي اتخذوها ازاء العرب وقدموا التنازلات العديدة ليس للاستعمار الفرنسي فحسب بل وللحركة الصهيونية العالمية التي وجدت من خلال اتفاقية سايكس - بيكو أنها تستطيع تنفيذ مخططها الاستعماري،لقد زرع وعد بلفور واتفاقية سايكس - بيكو الارتياح بين الأوساط الصهيونية العالمية وفي الولايات المتحدة وأوروبا ساعد على تنشيط الهجرة اليهودية إلى فلسطين اضافة لمحاولة واشنطن تنشيط دورها وزيادة مساعداتها المالية إلى دول الوفاق ، بعد ذلك مباشرة عقد الطرفان البريطاني - والأمريكي صفقة مع الصهاينة على حساب الشعب الفلسطيني حيث أسرعوا من خلالها إلى اتباع السياسة التالية :

١ - زيادة الاستيطان الصهيوني في فلسطين والوجود الامبريالي عبر شركة النفط التركية .

٢ - نسف مفاوضات الصلح السوفيتية - الألمانية (بريست - ليتوفسك) اعتباراً من شهر تشرين ١٩١٧ ، ففي ذلك الوقت أبرق وايزمن زعيم الحركة الصهيونية إلى أحد الزعماء الروس في لينيغراد (روزوف) مصراً على أن يقوم الصهاينة هناك بمعارضة الاتفاق وأكد زعيم المنظمة الصهيونية لروزوف قائلاً له :

« واجبكم المقدس هو ترسيخ ميول التعاطف مع الانجليز والولاء لهم بين يهود روسيا كلها ومكافحة الميول المناهضة بكل الوسائل والسبل وحتى الميول الارهابية منها »[٨] .

بعـد يومـين من توقيع الاتفـاقية بعث وايزمـان تحت ضغط الحكومة البريطانية ثلاثة برقيات إلى زعماء الحركة الصهيونية الروسية (روزوف) و (زلاتـوبـولسكي) و (غالبـيرين) في لينيغراد وكييف و (اوسيشكين وبارباش واينشتين) في أوروبا فضلاً عن ممثلي الحركة في بولـونيا ، لوفـوف ، وهنغـاريا والبـلاد الأخـرى وطـالب وايزمن معارضة قوية وبمقاومة كبيرة لاتفاق بريست لأنها تضعف مواقع دول الوفاق وتقلل فرص الصهيونية في الاستئثار بفلسطين .

كذلـك كان الحال بالنسبة لاتفاقية الاتحاد السوفييتي مع تركيا عام **١٩٢١** بعـد توقيع معـاهـدة الصداقة حيث حرص وايزمن على ارسال برقيات إلى زعماء الحركة الصهيونية واليهودية والماسونية في تركيا لافشال الاتفاقيات والمعاهدات الموقعة مع الاتحاد السوفييتي وعلى أن يقنـع الصهـاينـة بعض أطـراف من حزب الشعب الجمهوري بكل جهدهم للحيلولة دون توقيع مثل تلك الاتفاقيات .

كذلك أكدت لجنة كراين كينغ أن فرض الخطط الصهيونية لما يسمى بالوطن اليهودي في فلسطين حتى في طورها الحالي (أي قبل الاحتـلال) غير قابلة للتحقيق تقـوم بتدريب هذه العناصر في تركيا بالمستوطنات الزراعية أو في القرى البعيدة . كذلك كانت ألمانيا تقوم بالتحضـير لبنـاء عنـاصر مواليين لها من الحـركـة الصهيونية وكـانت استنتاجات تلك اللجنة تنصب على اقتراحين بامكان اقامة الانتداب الأمـريكي بمـوافقـة تركية على أرمينيا والعراق إلّا أن بريطانيا كانت تقطع الطريق على الدور الأمريكي في هذا المجال وقد كان لبريطانيا دوراً هاماً في تحضير ٥٠ ألف مستوطن يهودي من تركيا للاستيطان في فلسـطين ولجعلهـا رأس جسر للولايات المتحـدة في الشرق الأوسط .

وجعل تركيا درع واقي للدولة الصهيونية المقا مه .

إلّا أنه حينما استطاعت الاحتكارات الأمريكية التغلغل في تركيا والمنطقة العربية تمّ توقيع اتفاقية شاملة بين الدول الامبريالية ١٩٢٨ تموز /بصدد مساهمة الرأسمال اليهودي والصهيوني مع الرأسمال الأمريكي في شركة النفط التركية وتقاسمت الدول الامبريالية الأسهم وألحقت باتفاقية حدود المنطقة التي يتواجد فيها النفط وارتبطت حينها حدود البلدان العربية وشبه الجزيرة العربية عدا الكويت بتلك الاتفاقية التي استطاعت فرض بريطانيا كمساهم رئيسى في الشركة وصاحبة الحق بالانتداب على فلسطين والأردن والعراق وساعدت الحركة الصهيونية في تركيا استصدار أوامر لمصادرة ممتلكات السلطان العثماني في وقت متآخر وحرض البريطانيين على ضم الأراضي غير الواقعة في نفوذ السلطنة العثمانية أيضاً ووقع البريطانيون **اتفاقية الخط الأحمر ١٩١٤** مع وزير المالية العثماني المرتبط بالدونما وبالتحديد « بالبيك جواد » .

إلّا أنّ الأمريكيون تمتعوا بنيل نسبة جيدة من ثمار تلك الاتفاقية وتوصلوا إلى الغاء شركة النفط الانكلو ـ ايطالية التي امتلكت ٦٢٪ منها وتحويلها إلى شركة نفط الموصل المتفرعة عن شركة النفط التركية التي سميت فيما بعد شركة نفط العراق لذا اتسم بأهمية بالغة صراع الولايات المتحدة والاحتكارات النفطية الأمريكية على تأسيس شركة أخرى « بتروليوم كونسيشنز » بالتنقيب عن النفط طوال أعوام **١٩٣٥ ـ ١٩٤٤** وعندما انضمت الاحتكارات النفطية الأمريكية إلى شركة النفط التركية **١٩٢٨** اتخذت « اتفاقية الخط الأحمر » لصالحها

على نطاق واسع وكان الصهاينة يستثمرون أموالاً كبيرة ضمن هذه الاحتكارات العالمية ضمن تركيا والبلدان القريبة منها في الشرق الأوسط .

أما روزفلت فطلب شخصياً بتعزيز النفوذ الأمريكي في شبه الجزيرة العربية وبتقوية المواقع الأمريكية في صناعة النفط في البلدان العربية التي لم تخرج من الاستعمار بعد .

من هنا نجد أن المستعمرين البريطانيين عقدوا اتفاقيات سرية أيضاً مع الحركة الصهيونية لتقوية نفوذهم ومواقعهم فعندما أنجز اتفاق سايكس ـ بيكو استهدفت هذه الاتفاقية شراء أو محاصرة الشركات التركية في كل مكان ومنبتا (شركة النفط التركية) وبغية نسف المواقع الفرنسية من جهة وضرب تطلعات القومية العربية في تشكيل دولة عربية قوية في الشرق الأوسط لأنها ستكون برأيهم معادية من جديد للتطلعات الاستعمارية لبريطانيا وفرنسا ، وفي هذه الأثناء كانت النشاطات الأمريكية تنشط بشدة وتم تدعيم هذا النشاط منذ عام ١٨٢٣ عندما تأسست أول ارسالية بروتستانية أمريكية في لبنان وفلسطين في العهد العثماني حيث استبدلت لاحقاً من الكلية البروتستانية السورية إلى الجامعة الأمريكية في بيروت ففي أواسط القرن التاسع عشر استخدمت الأوساط الحاكمة الأمريكية حسب العديد من المصادر والهيئات الدبلوماسية والتجارية والدين (الكنيسة)[١] على نطاق شامل لتقوية نفوذها في العالم العربي ، حيث كتب بهذا الصدد ماركس ضمن مقالاته يحدد طبيعة التغلغل ذلك في « الولايات المتحدة وفي أوروبا » عدد ١٨٥٣/١٩ (نيويورك

ديلي تريبيون) وبدأ الأمريكيون يسيطرون على ثروات الوطن العربي ، إلاّ أن المواقع الاقتصادية الأمريكية في السلطنة العثمانية كانت ضعيفة إذا ماقورنت بنشاط بريطانيا وفرنسا والحركة الصهيونية العالمية .

أما (جمعية الكتاب المقدس الأمريكي) التي زرعت في الشرق الأوسط والأدنى حوالي خمسة ملايين من الكتاب المقدس ، وقد استنهز اليهود الفرصة في ذلك ودخلوا في هذه الجمعيات الارسالية الدينية كي يقتربوا أكثر فأكثر من فلسطين إلاّ أن تزايد الوجود الاحتكاري للولايات المتحدة في الشرق الأوسط ساعد بما لا يقاس بالهجرة الصهيونية إلى فلسطين على نطاق واسع .

كذلك فانه في عشية الحرب العالمية الثانية كانت الأوساط البريطانية تتراجع بشأن المسألة الفلسطينية بالاعتماد على الصهاينة كجانب وحيد ، وحاولت التواطؤ مع بعض الأوساط الملكية في البلدان العربية خدمة لأطماعها وأطماع الحركة الصهيونية فقد كانت تسعى كل من بريطانيا والولايات المتحدة بشتى الطرق والأساليب عن طريق الارساليات الدينية والشركات النفطية وبكل السبل لتعزيز مواقعها أمام الهجوم النازي الألماني والايطالي .

لقد أثارت خطوات بريطانيا بتحديد الهجرة اليهودية أشياء كثيرة لدى الصهيونية العالمية منذ أيار ١٩٣٩ حيث تم استصدار الكتاب الأبيض البريطاني والذي اقترح فيه مايلي :

١ ـ انشاء دولة فلسطينية عربية مستقلة في غضون عشرة أعوام .
٢ ـ تحديد مجموع الهجرة اليهودية في المستقبل بما لا يزيد اجمالاً على ٧٥,٠٠٠ .

٣ ـ حددت منطقة كبيرة لم يكن يجوز لليهود الحصول منها على أراضي .

هذه الأســاليب الملتـوية تجاه العـرب شكلت عمـل تكتيكي لمواجهـة دعـاية دول المحور التي كانت تستغل الأوضاع في فلسطين استغلالاً معادياً لبريطانيا .

وقد أكد مجموعة من الصهاينة أهمية الدور البريطاني في الهجرة اليهودية إلى فلسطين فهذا هانزكوهن يقول فيه :

« أملنا أن تصبح إسرائيل بلداً ذا إمكانية رفيعة في العالم وأن تصــير جسراً بين الشرق والغــرب وأن تنتــظم الحياة الاجتــماعية والسياسية فيها »[٩] .

أدركت بريطانيا طبيعـة العلاقات الناشئة بين النازية والحركة الصهيونية الأمـر الـذي جعـل الصهـاينـة يضعون أيديهم بيد ألمانيا الهتلرية من جهـة ويد أخـرى هي الـولايات المتحـدة واحتكـاراتهـا النـاشـطة في الشرق الأوسط من جهـة أخـرى فنقـل مقـر المنـظمة الصهيونية العـالمية إلى الـولايات المتحـدة وجـرى التوقيع على خطط جديدة للسيطرة على الشرق الأوسط ١١/أيار/١٩٤٢ على أســاس من بيان بلتيمور الذي اعتبر آخر صهيوني استثنائي أقر فيه الاعتماد على الولايات بشكل نهائي والسعي لضرب بريطانيا ومصالحها .

وقد أكد هامرشولد الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة بموضوعية أن الصهاينة لايزيحون خصومهم من الطريق بالقتل المادي فحسب بل ويحاولون أيضاً القضاء عليهم بالقتل المعنوي ، وبالقتل المدني ، وقـد اتخـذ هامـرشـولد مواقفاً موالية للعرب وقضاياهم العادلة ، أما

الكونت برنادوت الذي كان على وشك اعداد تقرير للأمم المتحدة ، وكـان اليهـود يعرفون أن تقريره لن يكون بمصلحتهم لأنهم مجرمون وارهـابيون ولـذلـك ازيل الكـونت عن الطريق بأن قتلوه[١٠] وصفوه تصفية جسدية .

انّ الـكـتـاب الأبـيض أو مذكـرة تشرشـل المـطبـوع في ١٩٢٢/١/٣ كان برنـامجـاً رسمياً يعـرض كيف ينـوي الانتـداب الـبريطاني بالتعـاون مع العـرب شكـلاً ولكن مضمـوناً دعم الحركة الصهيونية بكل الامكانيات المتوفرة[١١] .

أن الصهـاينـة منـذ أن ساعدهم الانجليز في بناء مؤسسة الاسكـان (اليشـوف) في فلسطين كانوا يستهدفون تحسين ظروف الاقامة في فلسطين بعد أن كانت قاسية وقد كتب مندل بهذا الصدد :

« ان اليهود لا يختلطون أبداً بالعثمانيين أو العرب ولا يبتاعون منهم شيئاً لهم مصارفهم الخاصة ، وأسسوا في كل مستوطنة أو قرية لجنة مركزية أو مدر سة ولليهود علم أزرق تتوسطه نجمة داوود وهم يرفعون هذا العلم بدلاً من العلم الفلسطيني ، ويصرح اليهود عندما يخاطبـون السلطات الادارية بأنهم مسجلون أصـولاً في السجـلات العثمانية وأنهم سكان السلطنة العثمانية . . »[١٢] .

* بريطانيا تشجع حكومة المستوطنات الصهيونية ضد الحكومة الفلسطينية المؤقتة ١٩٣٧ :

في هذا الاطار لا يمكن اعتبار نظام الانتداب مجرد وثيقة شكلية بل واقعاً استعمارياً خطيراً منحت من خلاله بريطانيا الوجود الشرعي لليهودية العالمية في فلسطين بما جاء في الكتاب الأبيض فان الوقائع شكل والأمنيات شكل آخر ، فقد وضعت الأسس لاقامة **ماوضعته (لجنة بيل) الملكية البريطانية ١٩٣٧ التي حققت وجود** (حكومة داخل حكومة) وساندت قيام المستوطنات ، ولذر الرماد في العيون أكدت بريطانيا على أن تسجيل المندوب السامي البريطاني مسؤولية الأمن لديه وتسلمه اياها حتى تغدو حكومة فلسطين **المؤقتة وتكون قادرة على القيام بهذا العبء حسب رأي عصبة** الأمم[١٣] ، وعلى أن يتم تشكيل سلطة تنفيذية في مجلس وزراء فلسطين يتألف من عرب ويهود بموجب النسب والتمثيل ، وكان هذا اللون من الحكم الوطني حبراً على الورق لتعارضه أساساً مع المصالح الاستراتيجية البريطانية ولخوف بريطانيا من التقارب المتزايد بين الحركة الصهيونية وألمانيا الهتلرية خلال الحرب ، أو مع الولايات المتحدة بعد الحرب فأخذت الحركة المناهضة للصهيونية والامبريالية تزداد باستمرار في فلسطين ، وكان على رأسها المؤتمر الفلسطيني العربي الذي تأسس عام **١٩٢٠** وتغيرت تسميته عام **١٩٣٦** وجرت انتفاضات عربية عارمة ضد الانجليز والصهاينة واضطرت بريطانيا لايقاف الهجرة اليهودية نتيجة التصاعد الملحوظ للانتفاضة الشعبية ومطالبها بايقاف المستوطنات واخراج اليهود الجدد واتخذت المنظمة الصهيونية العالمية داخل فلسطين عبر بعض المستوطنات الجديدة

والقـديمـة بالقيام باستفـزازات تارة ضد التجمعـات اليهـودية وتارة أخرى ضد التجمعات والقرى والمدن العربية بهدف ضربهما بعضهم ببعض وكـان هذا الـدور أيضاً يجري بالتوافق بين الحركة الصهيونية وقـيادتهـا مع قيادة الانتـداب لتثبيت المشروع الصهيوني . وكـان للمنظمة الصهيونية الجديدة التي أنشأت عام ١٩٢٩ والتي كان على رأسهـا جابـوتنيسكي العنصري والفاشي وعملت بريطانيا إلى ايقاف الأحداث المتدهورة بكل الامكانيات نتيجة تصاعد المعارضة العربية والاسلامية للاستيطان اليهودي في فلسطين ، إلاّ أن الزعماء الصهاينة في المنـظمـة الصهيونية العـالمية والمنـظمات الأخرى دعوا بريطانيا إلى مسـانـدة المستـوطنين اليهود ضد العرب والغاء التدابير الموجهة ضد المستـوطنـات وأخـذ الـبريطانيون يسلحون اليهود ويدربونهم بصورة جزئية وأعلن الصهـاينـة استعـدادهم للخـدمـة في جيوش الحلفـاء وانضمت فرق صهيونية كاملة مدربة مع الجيش البريطاني وتمت تعبئة حوالي ٢٦ ألـف مرتـزق صهـيوني في تشـكـيلات كبـيرة للجيوش الـبريطانية وتلقى اليهـود من الـبريطانيين تدريبـاً عسكـرياً وتسليحاً لا يقدران بثمن(١٤) .

رغم هذه المسـاعـدات البريطانية الاستثنائية للصهاينة إلاّ أن العصـابات الصهيونية لكي تغطي على المساعدات تلك قامت بقتل الجنـود والضبـاط الانكليز بدون تمييز فاللورد مونـين وزير الـدولـة الـبريطاني للشرق الأوسط سقط صريعـاً في تشرين الثـاني ١٩٤٤ برصـاص الارهـابيين الصهـاينة ولهذا ألقى رئيس الوزراء البريطاني تشرشل في ١٧/١٠/١٩٤٤ في مجلس العموم البريطاني كلمته :

« اذا انتهت أحلامنا من أجل الصهيونية في دخان أسلحة القتل ولم تخرج جهودنا من أجل مستقبلها إلّا مجموعات جديدة من اللصوص فسيضطر كثير من الناس مثلي الى اعادة النظر في الصهيونية..»(١٥) .

وبعد ذلك استطاع الصهاينة من اشاعة الرعب والارهاب الدموي في فلسطين فنهبوا وقتلوا وسرقوا وشلوا حياة البلاد الاقتصادية وضربوا خطوط المواصلات ، كان الصهاينة يدركون أن الولايات المتحدة كدولة عظمى تؤيد أعمالهم وتمدهم بالمهاجرين والمساعدات المالية يقومون بمزيد من قتل حلفاء الأمس البريطانيين . أما في كانون الثاني ١٩٤٦ انعقدت للمرة الأولى في لندن لجنة فلسطين المشكلة من أمريكيين وبريطانيين التي عملت على اتاحة الفرصة التاريخية للصهاينة بانشاء كيانهم الاستعماري تحت ظل الحراب البريطانبة والأمريكية ، والمندوب الصهيوني البروفسور بروديتسكي يطالب بانشاء دولة يهودية ويعد بالمحافظة الصارمة على حقوق العرب ويتقرر بقاء الدولة اليهودية في رابطة الكومنولث البريطانية ، أما الاتحاد السوفييتي فيؤكد أنه ليس من حق اللجنة الأنكلو ـ أمريكية الفصل في شؤون بلد عربي مثل فلسطين وفي الرابع عشر من حزيران ١٩٤٦ يطالب الاتحاد العربي بتجريد الصهاينة من سلاحهم ودعم عرب فلسطين وحماية السكان العرب من الأعمال الارهابية الصهيونية المنظمة ، وتتعاون الحركة الصهيونية مع بريطانيا لاذلال ضباطها ودفعهم للقتل فهل صحيح أن بريطانيا لم تكن قادرة على فرض النظام واخراج المستوطنين من مستوطناتهم ووضعهم عند حدهم ؟!

ان لعبـة الحكـومـة البريطانية مردودة على أصحابها وهي أشعلت ضمير الفيلد مارشال مونتغمري الذي تحدث بمذكراته (ص ٤٧٢ - ٥٢٣) قائلاً :

« . . . كانت المنـظمات الارهابية اليهودية المسلحة كالأرغون وعصابات شتيرن والهاغاناه تتألف في ذلك الوقت من ٧٠ ألف مقاتل وارهابي مدربون أحسن تدريب » .

- الحرس المتحرك لحماية المستوطنات ٥ آلاف مقاتل وارهابي .
- الأرغـون تسغـاي لؤيمي ٦ آلاف مقـاتل وارهابي مدربين تدريباً خاصاً على قتال الشوارع وحرب المدن والتخريب والتفجيرات .

وعشرات الآلاف من الأعضـاء السريين المـدربـين تدريبـاً خاصاً الذين كانوا يحدثون البلبلة والتفجيرات في القرى والمدن الفلسطينية .

وقـد أعلن رئيس الـوزراء الـبريطاني حكيمـونت ر. اتلي عن نسف مقر القيادة البريطانية في فندق الملك داوود بالقدس في مجلس الـعـمـوم في ٢٣/ تموز ١٩٤٧ وفي ١٩٤٧/٩/٢٦ يعـلن وزير المستعمرات البريطاني أرثر كيرشد في الأمم المتحدة عن عزم الحكومة الـبريطانية على سحب الادارة الـبريطانية وسحب القوات البريطانية من فلسـطين أمـا ترومان فقد نظم حملات جديدة للمهاجرين وزج بهم باتجاه فلسـطين وفي ١٩٤٧/٩/٢٩ تقـوم المنـظمات الارهـابية الصهيونية بتفجير مقر قيادة الشرطة البريطانية في حيفا ، هذه الأعمال وغـيرهـا من الأعـمال الارهـابية المريعة المثيرة للاشمئزاز التي تذهب بحياة كثير من البشر الأبـرياء اليهـود والعرب كانت تساند بقوة من

الـدول الامـبريالية الأخرى . وأثناء ذلك ضغطت الولايات المتحدة باتجاه تأييد الأعمال الارهابية ودفعت تعزيزات مالية وعسكرية فضلاً عن التـأييد السياسي فلولا هذه المساعدات والأعمال غير الشرعية لما تمكنت واشنـطن من ابعـاث اسرائيل للوجود مع الحكومة البريطانية المتواطئة معها . **أما الجمعية العامة** للأمم المتحدة فتقرر بأن حكومة الانتداب ستحل في (١ آب ١٩٤٨) وفي كانون الأول ١٩٤٧ يعلن الاتحاد العربي في بيان خاص على أنهم ضد تقسيم فلسطين وأن هذا القـرار مناقض للقانون الدولي ، وتقبل الأمم المتحدة بقرار التقسيم وبنـاء على ذلـك ظهـرت دولـة اسرائيل الاستعمارية التي بدأت منذ الأيام الأولى لقيامهـا بتنفيذ مخططات الادارة الأمريكية الاستراتيجية وتسعى بعـد ذلـك من خلال نشـاط حلف الشـمال الأطلسي الذي تأسس عام ١٩٤٩ أي بعد سنة واحدة من قيامها إلى تشجيع سياسة الأحلاف الاستعمارية العسكرية والسياسية حيث زجت تركيا في اتون صراع مع الدول العربية الفتية بهدف اشغالهم عن عدوهم الرئيسي وبدأت تركيا تلعب دورهـا الخطير لكي تكون الدرع الواقي لاسرائيل والحامي الأساسي لها في المنـطقـة وكـان لايران أيضـاً في عهـد الشاه دوراً مماثلاً وداعماً لغطرسة وعدوانية هذه الدولة التي أراد من خلالها المستعمرين فصل الوطن العربي عن بعضه البعض ووضع اسرائيل كاسفين بين الدول العربية في آسيا والدول الأخرى في افريقيا وفي عام ١٩٤٩ تقوم تركيا باجـراء اتصـالات مباشرة مع مندوب اسرائيل في هيئة الأمم ويجري الاعتراف رسمياً وتوقيع عدة معاهدات واتفاقيات منها اتفاقيات أمنية

واقتصادية وسياسية ، والحقائق التي تتورط بها تركيا في العلاقات مع اسرائيل إلا أنه لابد لنا من الاطلاع الآن على العلاقات والاتفاقيات الناشئة بين هتلر وشركة هافارا والحركة الصهيونية العالمية فبعد أن شعرت الصهيونية أن هتلر سينتصر في الحرب أسرعت لعقد صفقات خطيرة معه سرعان ماخاب ظنها وبدأت تميل شيئاً فشيئاً باتجاه الاعتماد الكلي على الولايات المتحدة ، وبدأت تحركاتها اللاحقة اعتماد فرنسا والولايات المتحدة .

*** اتفاقية هتلر مع هآفارا والحركة الصهيونية العالمية :**

على أساس من الاتفاق السري بين الوكالة اليهودية والقسم الخاص (١١ - ١٢) في جهاز الجستابو ضمن مدينة برلين تم افتتاح مكتب فلسطين « الصهيوني - الجستابو » الذي كان مهمته انتقاء أحسن العناصر من اليهود من الناحيتين المالية والسياسية والفنية لاجراء عمليات غسل دماغ لهم لكي يهاجروا إلى فلسطين وتطبيق الأفكار النازية فيها وفي تركيا على السواء حيث منحت ألمانيا تأشيرات خروج رسمية لهم من ألمانيا إلى فلسطين من موانيء وجذر أزروا الألمانية بسفن متجهة إلى فلسطين عام (**١٩٣٣ - ١٩٣٦**) فوصل اليها من ألمانيا خلال هذه الفترة فقط (٤٠) ألف يهودي مدربين ومنظمين أحسن التدريب والتنظيم لقد كانت الحركة الصهيونية وبديمغرافية مطلقة تعتمد على ألمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة وتستفاد من علاقاتها معهم في سبيل المشروع الصهيوني الكبير وسنجد أنه حتى عام **١٩٤٥** كانت الحركة الصهيونية تعتمد على الجستابو في تهجير اليهود بالاتفاق مع (الفرع الخاص) للمخابرات الألمانية وسنجد **فيما بعد قيام** الدولة الصهيونية الضغط الصهيوني على ألمانيا لدفع تعويضات لها[١٦] .

ويقدر الدكتور فرانتس شاريدل في كتابه الهام « اسرائيل أمة مفتعلة » ان الدفعات المالية والمساعدات الألمانية لاسرائيل من الظواهر الفريدة في تاريخ الدول حيث تقدم لها دفعات وتعويضات سنوية خاصة ، ودفعات وتسديدات مباشرة سنوية وتعتبر ألمانيا المؤيد الرئيسي والأكبر لنشاط ودور إسرائيل وعلاقاتها مع السوق الأوروبية

المشتركة وللعلاقات التركية ـ الألمانية دوراً بالغاً في تطوير العلاقات مع إسرائيل لكن قبيل الحرب العالمية الثانية وقبل اغتصاب فلسطين اندلعت الحرب الأهلية في اسبانيا (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) ودامت قرابة ثلاثة أعوام وقضت على الجمهورية الاسبانية وأقامت دكتاتورية الجنرال فرانكو الفاشية وقد شاركت في هذه الحرب عدة فرق أممية معادية للفاشية ، **وقد أبلت بلاء حسناً** في مقاومة الفاشية ، حيث شكلت الفرقة **(١٢٩)** الأممية التي تتألف من المجريين والسلوفاك واليونانيين والرومانيين والألبان والايطاليين واليوغسلاف والبلغار والتشيك والعرب وتحمل اسم القائد العالمي البارز جورجي ديمتروف[١٧]، وكانت فكرة الجبهة الموحدة للنضال ضد الفاشية والنازية والصهيونية وكل أشكال التعصب القومي التي أعلن عنها في المؤتمر السابع للكومنترن رهن التحقيق ، حيث جرى باخلاص تنظيم جبهة موحدة معادية للحرب العالمية ، وقال ديمتروف كلمته الشهيرة مؤكداً على حقيقة تاريخية ناصعة وهي لا تقبل التأويل لأنها تعتبر النقيض الطبيعي والانساني للتعصب **القومي**[١٨] .

أما وايزمن وبن غوريون وهرتزل هؤلاء الأعداء الحقيقيون للحركة العمالية **والثورية العالمية** ولقضايا التحرر والتقدم سعوا لزج أنفسهم في مجابهة الحركة الأممية التي قادها ديمتروف وعمل ناحوم غولدمان مراراً من خلال المنظمات الفاشية ولقاءاته مع موسوليني وزعماء نازيين للتحريض ضد تلك الحركة ، لقد كان**لموسوليني عملاً** مهماً بل وكبيراً في استصدار تعليمات بتوسيع الروابط والعلاقات الاقتصادية مع الشركات الصهيونية العالمية والرأسمال اليهودي

الايطالي والعالمي وتأييد فلسطين ودعم فكرة انشاء كيان صهيوني يكون جسراً للفاشية وللنازية الى **الخليج والشرق** الأوسط إلاّ أن دعم موسوليني سراً للحركة الصهيونية لم يدم طويلاً لأنه كشف مراراًولأنه سمح كما سمح هتلر في ألمانيا بافتتاح مدرسة عسكرية بحرية صهيونية (غير شرعية) في مدينة (تشيغيتا فيكيا) الايطالية التي مارست نشاطاتها وأعمالها العسكرية حتى عام **١٩٣٨** وجرى ذلك **في كنف الفاشية الايطالية وقام بتدريب قادة الحركة الصهيونية الحالية في** فلسطين المحتلة ، وأولى الفاشيون ، والنازيون اهتماماً خاصاً وبالغاً بالحركة الصهيونية ، ففي عام **١٩٣٣** تم التوقيع بشكل سري على اتفاق بين بنك الدولة في ألمانيا الهتلرية **«رايخس بانك» والوكالة** اليهودية المسماة (هآفارا) أي" الجمعية التجارية" التابعة للحركة الصهيونية العالمية .

بمقتضى هذا الاتفاق تمّ تهريب مجموعات كبيرة من اليهود الألمان تحت اشراف (الجستابو) والمنظمات الارهابية الصهيونية ، وتمّ دفع تعويضات بسبب الثروات المالية والعينية والمحلات والشركات التي تركها اليهود الألمان للجستابو ولهتلر بعد أن توجهوا إلى فلسطين قبيل الحرب العالمية وخلالها بهدف الاستيطان .

مع تزايد دعوة الصهاينة بالاتفاق مع النازية على حث اليهود الألمان للهجرة إلى فلسطين بدأت بتوجيه شتى الشائعات والأكاذيب حول قيام هتلر بحرق اليهود فاذا قام هتلر والجستابو بهذا العمل الفاشي والعدواني ضد اليهود فان ذلك متفق عليه أساساً مع الهآفارا والهادف إلى **التهويش والتضخيم** الكاذب لكي تتمكن من تهجير أكبر

عدد ممكن منهم إلى فلسطين ولكي يتسنى للحركة الصهيونية قبض الأموال التي حصلت عليها من قبل (رايخس بانك) لتصل إلى أرصدة المنظمات الصهيونية وحركتها الرجعية العالمية ، وقد كانت تطمح هذه الحركة بعد معرفة التطورات الحاصلة على النشاط الألماني ومحاولة هتلر الهيمنة على أوروبا والاتحاد السوفييتي والعالم ، مع تعاظم روح الفاشية والعنصرية ركبت الصهيونية موجة النازية لكي تستفاد منها أما (شاخت) اليهودي رئيس بنك ألمانيا سعى لكي يوافق هتلر شخصياً على توسيع مجال ونشاط (هآفارا) لكي تشمل منطقتي الشرق الأوسط والأدنى تحت الحماية الألمانية في المستقبل .

هكذا نجد أن الصهاينة الذين حصلوا من بريطانيا والولايات المتحدة على وعد بلفور وتمكنوا إلى جانب الفرنسيين من تقسيم سورية الطبيعية إلى مناطق ونفوذ استعماري في **١٩٣٦** للحصول على امتيازات كبيرة لتغلغل الرأسمال الصهيوني لاستثمار حقول النفط في الشرق العربي ، قوض لهم أيضاً خلال نفس الفترة أن يكسبوا تأييد ألمانيا ـ النازية ويسعوا إلى مساندة مشاريعهم ، وليكسبوا رضا هتلر على التحركات في الشرق الأوسط لكي يكون الكيان الصهيوني فيما إذا نجحت ألمانيا الهتلرية في الحرب ضد الاتحاد السوفييتي وبريطانيا وفرنسا ، أن تكون على رأس جسر للنازية في الشرق الأوسط لاحتلال منابع النفط ولفرض مواقع جديدة مثلما فعلت الاتجاهات الفاشية التركية التي لم تكن بعيدة أساساً عن تطبيق الفهم الصهيوني في علاقاتها مع ألمانيا النازية .

كذلك تضمنت اتفاقية هآفارا بين النازية والصهيونية بنوداً

سرية خطيرة لم يكن يعرفها سوى زعماء الحركة الصهيونية الذين وقعوا هذه الاتفـاقية مع الزعماء والنازيين والقائلة في جوهرها ضمان نشاط الحركة الصهيونية في فلسطين لبناء (رايخ صهيوني) (ورايخ تركيا) في الشرق الأوسط وتـطبيق وعـد ألماني لانشاء كيان صهيوني حليف لألمـانيا حيث تقضي بنـود الاتفـاقية بأن يكون جزء معين من السلع التعـويضية التي قدمهـا النـازيين إلى الـطرف الصهيوني على شكـل مساعدات عسكرية أو قنابل يدوية ورشاشات وهاونات تمّ تسريبها كلهـا (سراً) إلى فلسـطين وكـان يشرف عليهـا الـذين تخرجوا من المـدرسة البحرية الصهيونية في ألمانيا والتي أنشأها هتلر لهذا الغرض بالاتفاق مع القادة الصهاينة في ذلك الوقت .

لكن حسب المصادر التاريخية المطلعة فانه في الوقت الذي كان وايزمـان وغولدمان يقيمان أواصر التعاون بين حركتهم العنصرية مع النـازية،وفي بريطانيا والولايات المتحدة كان الألمان يسدون النصائح والتعاطف مع العالم العربي والاسلامي بحجة مساعدة شعوب الشرق الاسـلامي في نضـالهم من أجل الاستقلال ، كذلك فان الصهاينة أقاموا علاقات وطيدة مع ميلدنشتاين رئيس « القسم الخاص » الذي أنشيء ضمن جهـاز أمن القـوات الخـاصة الألماني ومن ثم عهد اليه بمهمة وضع السياسة الصهيونية موضع التنفيذ إلى أن دحر المشروع النـازي واستفادت الحركة الصهيونية منه بأن قامت بحملات دعائية زادت من اعداد المهاجرين من ألمانيا وأوروبا بمئات المرات .

فبـالاستناد إلى إذاعة برلين يأتي في كل شهر إلى برلين وحدها ٢٠٠ يهودي ليغادرو من إسرائيل إلى ألمانيا بل أن الاذاعة ذاتها تحتّج

على أن اليهـود الجدد لا يجري تأمين مساكن لهم ويعيشون في العراء بعد عام ١٩٤٨[١٩]، وتؤكد صحيفة « جيروز اليم بوست » أنه في أيار فقط من عام ١٩٥٠ هاجـر إلى إسرائيل من ألمـانيا ١٩٢٩ شخص وهاجر من إسرائيل إلى ألمانيا ١٤٠٠ شخص .

كذلـك يفيد تصريح للطائفـة اليهـودية في برلين الغربية عام ١٩٦٤ أن أكثر من ٤٠٠ عائلة عادت من إسرائيل إلى برلين خلال الشهور الاثني عشر من عام ١٩٦٤[٢٠] .

أمـا الدكتور لويس فينكلشتاين من حلقات الدراسة اليهودية اللاهوتية في منهاتن عام ١٩٥١ أكد مايلي :

« لو كان يهود أمريكا عملوا من أجل السماح بدخول اللاجئين اليهود إلى الولايات المتحدة بدلاً من فلسطين بالهمه نفسها التي عملوا بها من أجـل الحـركـة الصهيونية لانشاء لهم وطن مؤكـد لكل اليهود الأوربيين في الولايات المتحدة . . . »[٢١] .

ويورد أيضـاً كاتب أمـريكي الفـرد ليلينتـال في ذلـك بعض التفـاصيل الأخـرى ، إذ يصف كيف تمكنت الحركة الصهيونية من احبـاط مشروع روزفلت الـذي نص على قبـول ٦٠٠,٠٠٠ ألف يهودي في بريطانيا وفي العالم الجديد وكتبت صحيفة (Yiddisch Bul-lelin) في ١٩/ آذار/ ١٩٥٠ مايلي :

« لقد ضحى الصهاينة في الواقع بمصالح البشر الأحياء . . . لتنفيذ سياسـة حركتهم . . . فمنـذ صدر الاسـلام يعيش اليهود في الأراضي المقدسة ويمارسون شعائرهم الدينية دون أن يزعجهم العرب والصهيونية وحدها هي التي تجعل حياة اليهود هناك مستحيلة »[٢٢] .

وقد أكدت صحيفة Euvopa - Kovvesponden 2, Eukorrg)
(6 في فيينا أنه جاء في صحيفة Sonntag Sblatt مايلي :

في اجتماع علني في بئر السبع اضطرت مجموعة من اليهود الهنود أن يدافعوا عن أنفسهم ازاء الممارسات العنصرية ضدهم من قبل دوائر اليهود في تلك المنطقة ، ويجري الحديث في الاحتجاج عن الشرائع النور البترنمية[٢٣] .

حيث تعتبر الحاخاميات هي المختصة بالأموال المدنية فقط .

لقد أثبتت العديد من الصحف والمقالات والدراسات في الخمسينات والستينات بعد اغتصاب الصهاينة لفلسطين أن التمييز العنصري ازداد بشكل لا يطاق **كذلك تزداد تناقضات اجتماعية** وسياسية وخاصة التناقضات بين **الشرقيين والغربيين** وتتم التفرقة العنصرية أيضاً ضد اليهود الزنوج .

أما الفيلسوف اليهودي مارتن بوبسر **١٩٤٦** فقد سعى لفرض وجهة نظره حول أنه ينبغي على « إسرائيل » فيما إذا قامت بعد سقوط النازية أن تكون سياستها قائمة في الأساس على البحث عن اتفاقيات دولية بدلاً من **السعي عن اتفاقيات** اقليمية أو محلية مع العرب أصحاب الشأن والعلاقة ، أما برنامج بلتيمور الاستعماري والذي أعطى الحركة الصهيونية كل ما تريد فقد آثار الغضب لدى الشعب الفلسطيني والشعوب العربية ضد الصهيونية وبريطانيا بل وضرب الجهود التي كانت ترمي إلى احلال تفاهماً مابين اليهود والعرب دون تدخلات استعمارية خارجية[٢٤] .

إلّا أن الحركة المناهضة للصهيونية وللفاشية وللامبريالية ازدادت باستمرار في فلسطين ، وكان على رأسها المؤتمر الفلسطيني العربي الذي تأسس عام **١٩٢٠**.إلّا أن المستوطنين الصهاينة استخدموا المستوطنات والتجمعات اليهودية للقيام بأعمال استفزازية ضد العرب إلى أن استولوا على فلسطين .

وفي نهاية عام **١٩٤٨** تتمكن العصابات الارهابية من انشاء كيانها الاستعماري مدعومة من قبل الدول الامبريالية ومزودة بأحدث الأسلحة وأفضل العتاد وقام الصهاينة بطرد السكان العرب وفق حملات ارهابية وقمعية ودموية أدت إلى ظهور مذابح مثل (دير ياسين ـ وكفر قاسم) وغيرهما حيث ارتكبت العصابات الصهيونية المجازر السوداء مستلهمة بذلك ما علمته إياها النازية في معسكرات البحرية في ايطاليا وألمانيا .

يعتبر الشعب الفلسطيني من القبائل السامية وغير السامية التي عاش ت في البلاد منذ آلاف السنين وحدثت اختلاطات سكانية في ع الاغريق والرومان حيث استولى اليهود الصهاينة على فلسطين بعير وجه حق أو شرعية[٢٥] ويعتقدون أن هذه الأرض لهم فمنذ دخول اليهود إلى فلسطين (١١٠٠) قبل الميلاد حتى انهيار المملكة السامرية (٧٢١) قبل الميلاد ومملكة يهوذا عام **٥٩٧** قبل الميلاد لا يمكن للصهاينة أن يثبتوا بعد هذه الآلاف من السنين أنهم أحفاد تلك القبائل التي عاشت وسكنت هذه المناطق أساساً لفترة قصيرة جداً ولم تأت من كل أصقاع الأرض بل كانوا جزء من سكانها ، حيث وجد الفلسطينيين والكنعانيين من العرق السامي منذ **٣٠٠٠**

قبـــل الميلاد غربي الأردن وعـــلى امتـــداد فلســـطين ولبنـــان ، أمـــا الفلسطينيون فمنهم من قدم من منطقة (ايجة) فوجدوا عام ١٢٠٠ قبل الميلاد في سهول فلسطين وجبالها .

★ ★ ★

توضيح من المؤلف

الصفحة ١١٦ أخذت عن مجلة الفيصل الصفحات ١٢٣ ـ ١٢٤ العدد ٢٠٠

لدعم مضمون الكتاب لذا جرى التنويه لذلك

مناقشات وتعليقات

السلطان عبد الحميد الثاني وصورة واضحة لسياسته

قرأت حوار المؤرخ التركي «يلماز أوزتونا» في مجلة «الفيصل» العدد ١٩٦، حيث تحدث إلى محاوره د. عبد اللطيف بن محمد الحميد عن بلاده ـ أي تركيا ـ من حيث اعتبارها جسرًا ثقافيا بين العالم الإسلامي والغرب، وأعجبت بسعة اطلاعه، خاصة فيما يتعلق بدراسة تاريخ الدولة العثمانية، وصار الحوار كيفما أراد المحاور. بيد أنه استوقفتني إجابة المؤرخ المختصرة والمضمرة فيما يتعلق بسياسة السلطان عبد الحميد، مما أثار في نفسي كتابه هذا التعقيب.

بداية لا يزال العرب في حاجة إلى وقفة أمام تاريخ السلطان عبد الحميد الثاني الذي شغل الناس في أوربا، وما نسب إليه عن حق وعن حقد وعن جهل، مما جعل بعضهم يتحاملون عليه، ويتسابقون في رسم صور له، منها الحسن ومنها القبيح.

وُلد السلطان عبد الحميد الثاني الأربعاء ٢١ من سبتمبر ١٨٤٢م، وتوج للخلافة في ٣١ من أغسطس ١٨٧٦م، وكان عمره آنذاك أربع وثلاثين سنة.

الموقف السياسي والنهضة التعليمية

وبعد اعتلائه العرش قامت الحرب بين الروس والإمبراطورية العثمانية، وقد حاول السلطان عبد الحميد تفادي وقوعها، ولكن مجلس الوزراء اتخذ قرارًا أدى إلى اندلاعها، وهزمت الدولة العثمانية واضطرت إلى قبول شروط قاسية ودفع تعويضات مالية كبيرة. وفي الحرب اليونانية التي وقعت ١٨٧٩م اضطر السلطان عبد الحميد إلى دفع أكثر مصاريفها من خزينته الخاصة. وكان ينفق ـ دومًا ـ من ماله الكثير على الفقراء والمحتاجين. ولكنه بعد انتهاء هذه الحروب استعد لمجابهة الموقف وإيفاء الديون حتى رد اعتبار الدولة العثمانية خاصة تجاه الدول الأوربية.

والسلطان عبد الحميد يعد أعظم خليفة في العصور المتأخرة من الإمبراطورية العثمانية، وكان التعليم أول ما شغل باله. فأسس التعليم الابتدائي والمتوسط على الطراز الغربي، فأنشأ المدارس الإعدادية والثانوية في الولايات كافة، وافتتح في إستنبول ـ فقط ـ ست مدارس ثانوية، وكذلك افتتح المدارس الابتدائية في جميع القرى. وأوجد التوازن بين التعليم العسكري والتعليم المدني، وتوج نشاطه الواسع في مجال التعليم بإنشاء جامعة إستنبول، ضمت هذه الجامعة أربع كليات، في مقدمتها كلية للعلوم الدينية العالية من فقه وتفسير وحديث وأصول دين.

هكذا رأى السلطان عبد الحميد أن التعليم هو السبيل إلى القوة والنظام واستنباط موارد جديدة للدولة، وحسن استغلال مواردها القديمة.

بهار أورتونا

السلطان عبد الحميد وقضية فلسطين

ذكر إسرائيل كوهين في كتابه «الحركة الصهيونية» ص ٧٧ أنه «بتاريخ ١٨ من مارس ١٩٠١م تقدم يهودي مجري اسمه أورمينوس، وتبرع بمبلغ ضخم من المال إلى السلطان عبد الحميد يريد شراء فلسطين لليهود، فما كان من عبد الحميد إلا أن طرده من القصر فورًا».

ومن منفاه يكتب السلطان عبد الحميد إلى الشيخ محمود أبو الشامات شيخ الطرق الصوفية ـ الذي كان بمنزلة صديق له ـ خطابا يقول فيه:

«كأمانة في ذمة التاريخ ما تخليت عن الخلافة الإسلامية لسبب غير مضايقات رؤساء جمعية الاتحاد والترقي، المعروفة باسم «جون تورك»، وتهديداتهم. فقد طلب إليّ أولئك الاتحاديون بإصرار وألحوا في الطلب أن أوافق على إنشاء وطن قومي لليهود في الأراضي المقدسة «فلسطين» لكنني برغم إلحاحهم رفضت رفضا قاطعا ما راودوني عليه، وقد وعدوا أخيرا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة ذهبية إنجليزية، فأبيت كل الإباء، وأجبتهم، لو جئتموني بملء الأرض ذهبا. لا بمائة وخمسين مليون ليرة ما قبلت منكم قط. إني خدمت عقيدة الإسلام والأمة المحمدية أكثر من ثلاثين عاما دون أن ألوث صحائف آبائي وأجدادي المسلمين، ولن أقبل أبدا ما يريدون. عندئذ توعدوني بالمصير الذي أعدوه: الخلع والنفي».

وختم رسالته لصحابه بقوله:

«وحمدت الله، وأحمده تعالى أنني أبيت إلصاق العار الأبدي بالدولة العثمانية وبالعالم الإسلامي؛ فرفضت إقامة دولة يهودية في فلسطين المقدسة، وأكرر عليه سبحانه الحمد والثناء».

ومن الطريف الذي يجب أن يسجل لعهد السلطان عبد الحميد، الذي يرميه المؤرخون الغربيون بالتعصب الشديد، وكراهية أبناء الأديان الأخرى والجاليات غير المسلمة، أنه فتح أبواب المدارس العسكرية للمواطنين العثمانيين غير المسلمين، فكان من هؤلاء الخريجين يهود ويونانيون وأرمن.

هكذا كان السلطان عبد الحميد. وهذه كانت صورة من سياسته للإصلاح.

صلاح عبد الستار الشهاوي

طنطا ـ دمشيت ـ مصر

الفيصل العدد (٢٠٠) ص ١٢٣

مناقشات وتعليقات

وقفات مع حديث المؤرخ التركي أوزتونا

استمتعت بقراءة العدد ١٩٦ من مجلتكم الجميلة والمفيدة، إلا أنه استوقفني الحوار الذي جاء فيه مع المؤرخ التركي يلماز أوزتونا، وذلك على الصفحات ٦٠ ـ ٦١ ـ ٦٢ ـ ٦٣. وللحقيقة أحببت أن أعقب على بعض النقاط التي أثارها الحوار.

١ ـ لدى سؤال المؤرخ عن حقيقة قتل بعض السلاطين العثمانيين لإخوتهم الصغار خوفا من منازعتهم مستقبلا، لا ينفي المؤرخ ذلك ويبرره بدعوى الحفاظ على السلطة والدولة التي يجب التضحية في سبيلها بكل شيء. وأريد أن أسأل هنا سؤالين:

أ ـ هل حافظت الدولة العثمانية على نفسها في النهاية. ألم تسقط وتنهر، وكل ذلك الألم والظلم لم يمنعاها من الانهيار؟

ب ـ كيف يبرر مؤرخ مسلم قتل سلطان مسلم إخوته الصغار، لمجرد أنهم إخوته، وأنهم قد ينازعونه مستقبلا، والقرآن الكريم دستورنا الأعظم يقول: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ الأنعام ١٥١، فأي حق يراه السيد المؤرخ أوزتونا هنا ليبرر ما كان يمارسه ومارسه السلاطين فعلا وذلك بعد ثورة أو تمرد الأمير «جم» على أخيه السلطان؟

٢ ـ وفي رده على سؤال حول التخلف العثماني حضاريا وخاصة في العلم والثقافة، يرد المؤرخ قائلا: «إلا أنه ليس صحيحا أنهم (العثمانيين) أهملوا العلم والفن والثقافة، إن هذه الادعاءات تأتي على لسان المؤرخين الذين لا يعرفون جيدا الثقافة العثمانية».

حبذا لو أفرحنا المؤرخ وذكر لنا أدلة تدعم أقواله وتفنّد ادعاءات المؤرخين الذين لا يعرفون الثقافة العثمانية ـ كما قال ـ وكان يكفي مثال واحد عن كل إنجاز حضاري في كل مجال من المجالات المذكورة.

٣ ـ وفي جوابه عن سؤال آخر عن تخلّف الدولة العثمانية عن ركب الحضارة المدنية الحديثة في جانبها التكنولوجي، يجيب المؤرخ: «وقد حققت (الدولة العثمانية) تقدما كبيرا في مجال الطب خلال القرن التاسع عشر، كما أنها كانت على المستوى نفسه في مجال الصناعات الحربية والبحرية أيضا».

وما أيضا لا نجد إلا كلاما إنشائيا جميلا، وهذه ليست عادة المؤرخين الموضوعيين الذين لا يضعون أمام أعينهم إلا الحقائق. وكنا نتمنى أن يحددها لنا المؤرخ الكريم.

ويضيف: «وفي الوقت الذي كان العثمانيون يمتلكون آلاف الكيلومترات من السكك الحديدية وشبكات البرق لم يكن هناك سكك حديدية ولا شبكات البرق في الصين واليابان إلى أن انتهى العهد العثماني في عام ١٩١٩م». وهنا نجد قلبا لحقيقتين معروفتين جيدا:

الفيصل العدد (٢٠٠) ص ١٢٤

حوار:

المؤرخ التركي يلماز أوزتونا

بلادنا جسر تعبر عليه الحضارة الإسلامية للغرب

حاوره في أنقرة: د. عبد اللطيف بن محمد الحميد

الأولى: أن شبكات البرق والخطوط الحديدية التي يتباهى بها المؤرخ لم تكن من عمل أيدي المهندسين العثمانيين، بل بأيدي مهندسين أوربيين، وخاصة الألمان الذين استقدمتهم الدولة العثمانية لافتقارها إليهم.

والثانية: مقارنة الوضع العلمي العثماني باليابان فيها ظلم فادح لليابان التي بدأت فيها النهضة العلمية قبل نهاية الدولة العثمانية بزمن طويل ومنذ عهد «ميجي» بُعيْدَ منتصف القرن الماضي. وهذا أمر يعرفه المؤرخون جيدا.

٤ ـ وفي جوابه عن الدور الذي قام به العرب في الإدارة العثمانية، يعترف المؤرخ بأن العرب كانوا يأتون في المرتبة الثانية بالنسبة لإدارة الإمبراطورية، إلا أنه يجعل العرب هم السبب في ذلك، فهم لا يهتمون بالشؤون العسكرية، ولم ينضموا إلى الجيش العثماني؛ لأن نظامه كان شديدا ولا يرغبون في ترك بلادهم والذهاب إلى أوربا التي كانت مسرحا لتكوين سياسة الدولة. وأريد أن أسأل: هل هذه الادعاءات حقيقية؟ وهل صحيح أن العرب لم يهتموا بالشؤون العسكرية والانضمام للجيش والسفر إلى أوربا، أم أن الصحيح هو النظرة الفوقية التي كان يمارسها الترك الحاكمون والتي كانوا ينظرون بها إلى العرب؟! ولا أظنني بحاجة إلى نكء الجروح المندملة، وذكر الأمثال التي كان الترك يرددونها، والتي كانت تصف العرب بالدونية وتسخر منهم.

٥ ـ وجوابا عن سؤال أخير عن أسباب سقوط الدولة العثمانية يجيب أوزتونا بأن السبب هو تهورها في اتخاذ قرار حربي البلقان ١٩١٢ ـ ١٩١٣ والعالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨. والرأي الأرجح هو ما ذكره المؤرخ العثماني مدحت باشا الذي يقول: إن الدولة العثمانية عاشت مائتي عام أكثر من عمرها، والسبب برأيه هو عدم حدوث حروب خارجية تطيح بذلك الجسد العليل.

والشيء الآخر المؤكد أن محمد علي باشا كان سيقضي عليها حينما أصبح الطريق أمام قوات ابنه إبراهيم باشا مفتوحا بعدما اجتاز قونية عام ١٨٣٣ ـ وذلك قبل نحو تسعين عاما من التاريخ الذي يحدده أوزتونا لسقوط الدولة العثمانية وانهيارها ـ لولا تدخل الدولة الأوربية لإنقاذ «الرجل المريض» لأسباب يعرفها السيد أوزتونا جيدا.

أرجو أن لا أكون قد جانبت الصواب في تعقيبي، وأرجو أن يتسع صدر المؤرخ والقارئ لما ذكرت، فغايتي هي الحقيقة التي يجب أن تكون الأغلى والأكثر احتراما، مهما كانت مرة. فالحضارات لا تُبنى على أضاليل، وستنهار حتما، وإن عاشت ردحا من الزمن بحكم السيف وحده!

عبدو محمد

حلب ـ سورية

مراجع الفصل الأول

١ ــ انظر بهذا الصدد : صحيفة القبس ١٩٨٦/٩/١٣ تركيا منحت اليهود الأمان منذ خمسة قرون (عن اللوموند الفرنسية) .

٢ ــ انظر بهذا الصدد : أوربا /دوفيز ميشال / أوربا والعالم في نهاية القرن الثامن عشر ــ الجزء الأول :

Le vropect le monde a'la fin du XvIII

siecle Michel Deveze, Paris 1970, Albin

انظر أيضاً بهذا الصدد الشعب الصربي وكنيسته في ظل السيطرة التركية / باريس **puf, 1947, p.p.121**

٣ ــ انظر بهذا الصدد : ماسون م . م ص ٣٩٦ /ثالرت ماري تيريز تاريخ التجارة الفرنسية في المشرق القرن الثامن عشر ص ٣٨٣ انظر أيضاً قاموس التجارة الكوني جـ٥ ، مجموعة ٩٦٣ ــ باريس .

٤ ــ فليكس دوربوجور / لوحة تجارة اليونان جـ ١ ، ص٢٧١ ــ ٢٨٥ .

٥ ــ نشرة اللجنة الدولية للعلوم التاريخية ، وارسو ، المجلد /٩ /الجزء الثاني حزيران ١٩٣٧ ، ص ١٤٧ (بالانجليزية) .

٦ ــ **CR. Atlhan cisiamre beni Israel Page 210**

٧ ــ انظر بهذا الصدد نفس المصدر السابق (٢) ص (٥٢) .

٨ ــ **P. He pess hanovrelle despeeuples mar tgusypage**

٩ ــ **Turk Ousmaneni Tani, R,Atilhan,**

١٠ ــ **The British conssulale jerusalem ed. by A. M. Hagms, London 1941. DEC N2.**

١١ ــ **Ibld No. 23,a**

انظر الصهيونية على خطى النازية / شرق برس /قبرص / ١٩٨٩ ، ص٢٧ /٨

١٢ ــ ماركس انجلس ، المؤلفات الكاملة ٩ ، ص ٢٥٢ .

١٣ ــ سياستان ازاء العالم العربي ، ص ٢١٨ /٢١٩ بوندرايفسكي ، ص (٢٨٤) .

١٤ ــ **Judaisme denslamuogne, wohgner**

١٥ ــ **La Repubign eunireselle, parpier Hepess**

١٦ ــ **The Balfor declaration by leonardstein 1961**

١٧ ــ نفس المصدر السابق .

١٨ ــ **Mandel, Nerille, Turk Arabs and jewish Immigration into**

balestine palestine (1882 - 1914) st, Antonys papers No. 17, Middle easternattairs, No.4, Oxford, 1965; p.50

١٩ ـ Ibid, p.p. 81/82

٢٠ ـ P.R.P.F.O. 371/356, Nov.4, 527/92 erusalem, 16, Nov, 1907 and sec, also F. 1095/2255, No. 62 jerusalem 16, Nov, 1907.

٢١ ـ رودتسن مكسيم ـ اسرائيل واقع استعماري ص ٢٨ و ٢٣ / طبع في وزارة الثقافة ١٩٦٧ ـ دمشق .

zphu, Harhy, The complete diaries of the odoxhertl vol,i,p.38, and p.p. 1134,1135

٢٣ ـ Idid p.p. 1217, 1218 and secalso, cohen Israel. Theodorhertsl, founder of political Zionism, p.p. 259-260

٢٤ ـ hiurriyet gazetesi,N.N. Tepedelclentioghu

تركيا / صحيفة الحرية التركية ن . ن . تبه ده لنيل اوغلو /اسطنبول ١٩٥٨ .

٢٥ ـ Mandel, cit, p.94.

p.r.o.f.fo. 195/2452. No67, jaffa 27 October_1913

٢٧ ـ jerusalem 75 March 1914 and seealso, f.o.195/2459 No.33 jaffa 22 April 1914

٢٨ ـ «عاجلاً أم آجلاً ستنتهي اسرائيل»

وثائق بقلم ١٥ كاتباً فرنسياً / ترجمة دار العلم للملايين /بيروت ١٩٦٨ ، فرنسا ١٩٦٨ /ص١٢ .

٢٩ ـ «شتاين» الفصل الثالث (Lonardstein) انظر بهذا الصدد «التحدي الاسرائيلي ومواجهته» معهد البحوث والدراسات العربية / جامعة الدول العربية ـ تونس ١٩٦٩ ـ أنيس القاسم .

٣٠ ـ Herzel Theodor the jewish state, an, att.

٣١ ـ Bmair moment in the Middle Eazst.

London (1914-1950) chatto and nedis 1963 p.p.39.

٣٢ ـ Trial and error (التجربة والخطأ) p.p.238

٣٣ ـ انظر بهذا الشأن (افلاس النظرية الصهيونية) نصر شمالي / منشورات الأرض المحتلة / التعبئة والتنظيم / ص٩٢ /٩٣ /٩٤ .

مراجع الفصل الثاني

١ — بسط السلطان العثماني (سليم) نفوذه على معظم مناطق أرمينيا وعلى مدى ثلاثة قرون وأكثر منذ عام ١٥٢٠ م ، كانت أرمينيا بؤرة للتوتر بين القرن السادس عشر والثامن عشر حتى القرن العشرين كانت بؤرة للتوتر ومسرحاً للصدامات عانى منها الشعب الأرمني وقسمت أرمينيا الى قسمين جزء شرقي مسيطر عليه من قبل الدولة الفارسية (ايران) دخل فيما بعد بحدود سلطة القيصر الروسي بمعاهدة (تركان جاي) أما القسم الباقي فقد بقي تحت النير العثماني واستفادت الامبراطورية من خدمات الأرمن وعلاقاتهم ونشاطاتهم التجارية وحينما حاولت الطورانية التركية اتباع سياسة تتريك ضده عجزت عن ذلك الى أن جاء اليهود والصهاينة وبمساعدة الرأسمال العالمي تم ضرب الوجود الأرمني في تركيا بشدة ومورست بحقهم أبشع الأعمال الاجرامية والمجازر الدموية وفي عام ١٩١٥ هجر العديد من الأرمن جبال ارارات المطلة على عاصمة أرمينيا القديمة (باريفان) الآن .

٢ — اللورد بالاكسفيلد ديزرائيلي رئيس وزراء بريطاني سابق متحمس للمشروع التوراتي في سوريا والأراضي المقدسة .

٣ — لينين المؤلفات الكاملة المجلد (٣٥) ص٨٦ /بالروسية .

٤ — انظر بهذا الصدد لينين ضد الانتهازية اليمينية واليسارية وضد التروتسكية — ص ١٨٨ /١٨٩ صبغة الحياء عند يهوذا الصغير تروتسكي انظر ص٢٦٧ /٢٨٨ أيضاً .

٥ — **Philippe desaint trobert. le jedeta franc en mediiterrance, julliard, Paris 1970, p. 206**

٦ — **The strattegic Importance of syria to the British Empire, general statt war office, December9, 1918 F037/4178. PRO.**

٧ — وراء الكواليس التدخل الأجنبي في لاتفيا / موسكو / ١٩٥٩ ص ١٥٧ / ١٥٨ بعنوان (كان حليف للحركة الصهيونية) .

٨ — البوند هو الاتحاد العام للعمال اليهود في ليتوانيا وروسيا يشمل عناصر شبه بروليتارية من الحرفيين اليهود .

— انظر بهذا الشأن لينين (حول وحدة الحركة الشيوعية العالمية) ص٣ /٤ دار التقدم .

١٠ ـ السمات العرقية لليهود (١٩١٣ /فيشبرغ /برلين / .
١١ ـ انظر بهذا الخصوص ارهابيو الموساد / دار التقدم ص١٦ / فلاديمير فيميكوف .
١٢ ـ أحمد طربين / الوحدة العربية في تاريخ الشرق المعاصر ١٨٠٠ ـ ١٩٥٨) دمشق ص ١٦٤ /١٦٥ .
١٣ ـ نفس المصدر السابق .
١٤ ـ انظر بهذا الصدد تركيا بوابة استرتيجية للامبريالية العالمية / نديم البتيكن الحقيقة برس بيروت ١٩٨٧ /ص(٤١) .
١٥ ـ انظر بهذا الصدد / تاريخ السياسة الخارجية السوفيتية / الجزء الأول ١٩١٧ / ١٩٤٥ ب بوناماريف أ ـ جروميكوص (٧٠) .
١٦ ـ انظر تركيا بين الصفوة البيروقراطية والحكم العسكري / ص١٣ ، فصل (تركيا الحديثة) مؤسسة الأبحاث العربية/ بيروت .
١٧ ـ نفس المصدر السابق .
١٨ ـ انظر ضيا (كوك الب) (الأساس التركي) اسطنبول طبعة ١٩٣٩ ، ص٣٧ ـ ٥٢ .
١٩ ـ انسيكلوبيديا الاسلام لايدن ـ لندن ـ المجلد ٤ /ص٩٨٠
٢٠ ـ نفس مصدر ١٦
٢١ ـ **Introdaction to the modern economichistory of the middle East; By.z.YHRSHLAS leden, Brill 1964, p.p 228, 226**
٢٢ ـ ب . ب . غرانس بريطانيا وانجلترا ص٢٠٩ / لندن .
٢٣ ـ أ . م ايرل تركيا والدول العظمى وخط حديد بغداد لندن ١٩٢٣ ص ٣٣٢
٢٤ ـ نرمين ميم جيولي (تقدم تركيا الجمهورية) ونتر ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ / لندن .
٢٥ ـ ريبورك اوغلو / تركيا حلقة ضعيفة في السلسلة الامبريالية ص٣٢ /٣٣ دار بن رشد / بيروت .
٢٦ ـ انظر بهذا الصدد أ . ر لنجمان (الوضع الاقتصادي والتجاري في تركيا ، لندن ١٩٤٨ ص١٣٣ ـ ١٣٤ .
٢٧ ـ نفس المصدر السابق .
٢٨ ـ مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط ص ٢٣٣ /٢٣٤ دار الحقيقة بيروت / ز . ي هر شلاغ ١٩٧٣ .
٢٩ ـ لويس برنارد (تركيا اليوم) هتيشنسون) ص٤٩ (١٩٥٠)

٣٠ ــ The Definition of a peripheral ecpnpmy : Turkey (1923 - 1929) unpublished phd. desiration uc. Berkley 1977

٣١ ــ وثائق السياسة الخارجية السوفيتية المجلد ط /ص٥٥٥ تاريخ السياسة الخارجية / مصدر سابق ص . ١٧٢ .

٣٢ ــ نفس المصدر السابق .

٣٣ ــ وثائق السياسة الخارجية السوفيتية المجلد٣ ص٥٨٩ /٥٩٠ .

٣٤ ــ انظر لينين ، بعد ثورة اكتوبر / نوفوستي ص١٠٠ كتيب صادر عن نوفوستي .

٣٥ ــ الحيادة الدولية ١٩٥٨ / العدد ٢ص ١٥٦

٣٦ ــ نفص المصدر السابق .

٣٦ ــ وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي المجلد ٣ / ص٥٩٧ /٦٠٧ .

٣٨ ــ نفس المصدر السابق ص٦٠٦ .

٣٩ ــ نفس المصدر السابق .

٤٠ ــ ويقال أن المساعدة كانت ٨ مليون

٤١ ــ نفس المصدر السابق ص ٧٨٢ .

٤٢ ــ انظر بهذا الصدد الصهيونية في خدمة الرجعية ص٤٨ /٧١ /١٤٩ .

٤٣ ــ نفس المصدر السابق .

٤٤ ــ نفس المصدر السابق .

٤٥ ــ نفس المصدر السابق .

٤٦ ــ S.I. Aralovi Birsolvyet Diplomat Turkey Hatiralari Istanbul, 1967, p.92

٤٧ ــ 2.Y. Hershlag Turkey The Challengeet Growth Leiden 1968. p. 61.

٤٨ ــ تزوير التاريخ ، صحيفة ترود ١٩٤٨ /ص٦٩ /

٤٩ ــ تاريخ تركيا المعاصر و . ك . ماهاكيان ، بريفان/ص٩١

٥٠ ــ وثيقة أصلية للادارة العليا لجهاز مخابرات المانيا الهتلرية ١٧ /تموز / ١٩٣٧ مبعوث سري لألمانيا النازية فايفيل بولكيس العميل الموثوق لجيش (الهاغاناه) السري / انظر بهذا الصدد ارهابيو الموساد مصدر سابق / ص١٦ /١٧/موسكو .

٥١ ــ نفس المصدر ٤٩

٥٢ ــ Turikism The sovits chaeles warren Hostler, london 1957 p181

٥٣ ــ نفس المصدر السابق .

٥٤ ــ تركيا صعوبات وآفاق دراسات استراتيجية المجلد ١ ، ص ١٧ /١٨ /٢٠ العدد ١٢ مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ١٩٨٠ .

مراجع الفصل الثالث

١ ــ تيودور هرتزل : صحفي نمساوي اصدر كتابه الشهير «الدولة اليهودية» الذي عاد من خلاله حركة التاريخ ووقف ضد الحركة العمالية والماركسية والذي حاول فيه إثبات أن الدين اليهودي المنتشر في كل أنحاء العالم هو عبارة عن قومية مؤكداً على دوره المعادي لأفكار كارل ماركس وفريدريك أنجلز .

٢ ــ أفلاس النظرية الصهيونية /نصر شمالي، ص ١١٦ ــ ١٢٠ .

٣ ــ Conternce of Paris, volum 1, London/ g 24 P. 466

٤ ــ العلاقات الدولية في القرن العشرين ١٩١٤ /١٩٤٥ /رياض عصمت .

٥ ــ فيفيل مندل : الأتراك والعرب والاستيطان اليهودي في فلسطين ١٨٨٢ ــ ١٩١٤ رقم ١٧، شؤون الشرق الأوسط عدد (٤) ، لندن ــ اكسفورد يونفرستي برس ١٩٦٥ /ص ٧٧ ، ١٠٨ .

٦ ــ W.L.Ladger, The Diplommacy of imperialism, New Yorkm 1956, P.P,466 - 467 .

٧ ــ J.C.Hurewitz, op, cit, viim 18 - 21. .

٨ ــ J. Kimche, Theunromantiesm The Great powers and Balfour Declaraton, London, 1968. P. 45 - 46 .

٩ ــ حول التطوير السياسي الفلسطيني ١٩٢٨ /ص٥٣ هانزكوهن .

١٠ ــ وثيقة صادرة عن هيئة الامم ، ص ٥ ــ A/64 عام ١٩٤٨ .

١١ ــ ارتور ريبان (اليهود في العالم الحديث) باريس، مايو /١٩٤٣/ ص ٣٧٠ .

١٢ ــ ن . مندل ، الترك والعرب والاستيطان اليهودي /بالانجليزية ، ص٩٥ . انظر أيضاً بهذا الشأن (الصهيونية على خطى النازية) / شرق برس / قبرص ' ١٩٨٩ / ص ٢٥ ــ ٢٦ .

١٣ ــ عصبة الأمم ١٩١٩ ــ ١٩٣٩ تعتبر أحدى أدوات المنتصرين في الحرب العالمية الأولى لتحقيق أهدافهم الاستعمارية فقد أحياها وقدم لها المعونة زعماء الاشتراكية الديمقراطية المنحرفين بينما هاجمتها ثورة أكتوبر بشدة باعتبارها أداة طيّعة بيد الاستعمار القديم والجديد والانجليز وفرنسا والولايات المتحدة لترسيخ استعبادهم للشعوب واضفاء صفة الشرعية الدولية على مطامعهم الاستعمارية فالدول العربية سلخت عن الامبراطورية العثمانية السوداء لتضع نفسها في ظلال الانتداب البريطاني والفرنسي .

١٤ ــ أنظر بهذا الصدد كارلسون ، ص ١٥٦ ، أو اسرائيل أكة مفتعلة /الدكتور فرانتس شايدل، ١٩٦٩ ، ص١١٥ .

١٥ ــ دراسات عن فلسطين ١٩٤٥ /١٩٤٦ المجلـــــــــد الأول ، ص٣٣ ــ ١٧٨٥ .

١٦ ــ تقرير وزارة الاقتصاد الألمانية الاتحادية ، آذار ١٩٦٦ / بون (أنظر بهذا الصدد مجلة الحرية، العددان ٢٨ /١/ ١٩٩٠ و ١١ /٢/ ١٩٩٠ الجسور السرية «انظر أيضاً انهيار اليهودية في عصرنا (مؤسسة مينوهان) ١٩٦٥ ، ص٣٢٨) .

١٧ ــ جورجي ديمتروف قائد عمالي عالمي /مؤسس الجمهورية البلغارية الشعبية وقائد وطني بارز، تزوج بالنمساوية روزا فلايشمان المناضلة النشيطة في الحركة المعادية للفاشية ، احتفظ بقيادة الكومنترن، ويعتبر قائداً حي للحركة العمالية. انظر قصة كفاح جورجي ديمتروف /كامن مالتشيف/ ص١٤٤ .

١٨ ــ انظر ديمتروف ومحاكمة لايبزغ /الفاشية في قفص الاتهام / دار ابن خلدون ، ص ١٧ /٧٠ /١٧٥ .

١٩ ــ صحيفة «**Weltwo che**» زوريخ، ٢٦ /نيسان / ١٩٥٨ ، العدد ١٢٧٦ ؛ ص١٩ .

٢٠ ــ (**DW2**) ١٨ ايلول /١٩٦٤/ ص٢ .

عاش في المانيا الغربية حتى عام ١٩٦٧ حوالي مئة الف يهودي رفضت الاغلبية الساحقة منهم العيش في اسرائيل لأنهم وجدوا في وطنهم الحياة الأفضل .

٢١ ــ الدكتور لويس فينكلشتاين من علماء اللاهوت في الولايات المتحدة بالخمسينـــــــــات **Israel, selbstmord vevach durch HATIONALISMUS Pr.Scheidl, Verlay 1020, Wien, . Post fach P.P. 22g**

٢٢ ــ نفس المصدر السابق .

ان حياة اسرائيل بأسرها تظهر عناصر التوتر العرقي حيث يوجد أناس شرقيون يهاجرون الى مجتمع غربي وتنمو التوترات العرقية في اسرائيل نمواً خطيراً وتورد صحيفة (**DW2**) بهانوفر في ٢٦/٣/ ١٩٦٣ ، ص٢ بعنوان مشكلات عرقية في اسرائيل حول الفروق العرقية بين اليهود الأوروبيين وغير الأوروبيين والتفرقة العنصرية الناجمة بينهما .

٢٣ ــ نسبة الى مدينة نورنبرغ الواقعة في بافاريا بألمانيا الغربية .

٢٤ ـ The Bi - National Approacn to Zionism .

٢٤ ـ Towardsnnionin Palestine assays oh zionism and jewish Arab Cooperation 1947, P.P. 23 .

أنظر أيضاً : افلاس نظرية الصهيونية، ص ١١٦ / مصدر سابق .

٢٥ ـ عربي ويهودي في أرض كنعان، الولايات المتحدة /شيكاغو ريجنزي ١٩٥٧ (... ثبتت براهين مقنعة من الانجيل ومن التاريخ أن ادعاء الحق اليهودي في ملكية فلسطين باطل كل البطلان، ويدحض البرفسور الفرد جيوم من جامعة لندن أيضاً بالتفصيل ادعاءات الصهاينة هذه ...) .
(يمكن الاستعانة بمصدر قيم وهام كتبه السفير الأميركي في تركيا من عام ١٩١٣ ـ ١٩١٦ بعنوان (قتل أمه) مذكرات هنري مورغنطاو / ترجمة الكسندر كشيشيان) .

المحتويات

* كتب للمؤلف :

١ ـ الاقتصاد الصهيوني واقع الانهيار، طبع **١٩٨٣** لبنان.

٢ ـ خطر السياسة الأميركية والاقتصاد العالمي، طبع **١٩٨٤** دار الجليل ـ دمشق.

٣ ـ استراتيجية السلام العالمي والعلاقات الدولية، طبع **١٩٨٦** المؤلف ـ دمشق.

٤ ـ الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، مخطوط.

٥ ـ موقف الزعماء الفلسطينيين من الانتفاضة، مخطوط.

٦ ـ التحولات العالمية، مخطوط.

٧ ـ النظام العثماني، (١٤٩٢ ـ ١٩٥٢) طبع **١٩٩٣** دار دمشق.